

شوامخ المحققين

مصطفى السقا

إعداد
مركز تحقيق التراث

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة
١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م



المحتويات

صفحة



تقديم

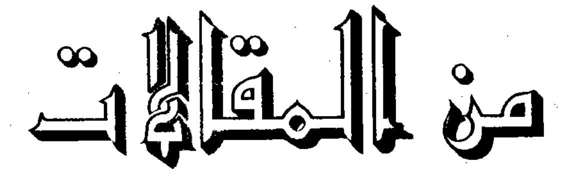
مصـــطفى الســـقا (١٨٩٥-١٩٦٩) أحد أعلام تحقيق التراث العربى، وهو من مؤسسى مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية، والذى له دوره المحورى فى نشر التراث العربى.

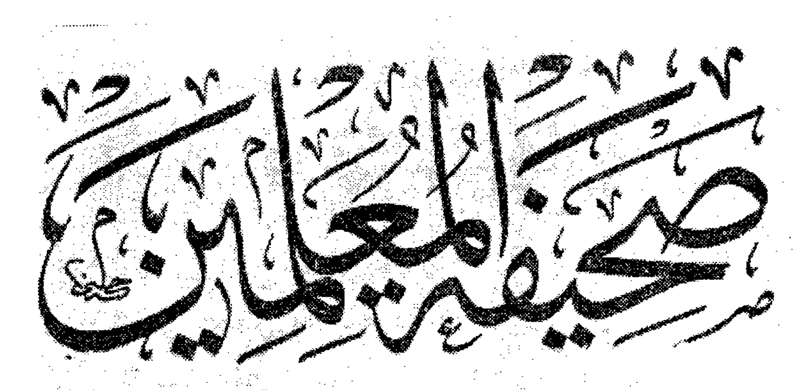
قام مصطفى السقا بتحقيق العديد من الكتب التراثية سواء بمفرده أو بالاشتراك مع آخرين، وهذه الكتب تربو على عشرين كتابًا منها على ســبيل المثال:أدب الدنيا والدين للماوردى، والسيرة النبوية لابن هشام، والفضـــائل الباهـــرة فى محاســـن مصر والقاهرة لابن ظهيرة ، وفقه اللغة وسر العربية للثعالبى ، والمعتمد فى الأدوية المفردة للملك المظفر ابن رسول، ومعجم مااستعجم للبكرى ... وغيرها .

وإلى جانـــب تحقيق التراث فإن لمصطفى السقا ما يزيد أيضًا على عشـــرين كـــتابًا مؤلفًا فى الدين والأدب والتاريخ ، بالإضافة إلى مقالاته بالصحف والمجلات الأدبية والدينية فى مصر والسعودية .

وهـــذا الكتـــيب الذى بين أيدينا يضم نماذج من كتابات السقا، والـــتى تلقى لنا ضوءًا على بعض اهتمامات السقا ، وتوضح لنا منهجه فى تحقيق التراث كما رسمه فى مقدمات بعض كتبه المحققة، بالإضافة إلى بعض النماذج الخطية بقلمه .


أولاً

مختارات

من المقالات



مجلة علمية ، أدبية ، خلقية ، تصدرها نقابة المعلمين

مديرها المسؤول ورئيس تحريرها

الشيخ أبو الفتح الفقي

المفتش بوزارة المعارف العمومية

السنة الأولى | (ابريل سنة ١٩٢٣) | العدد الثاني

المعجمات العربية

بين يدي أهل العربية اليوم طائفة كبيرة جداً من الكتب القديمة المعتبرة ، أكثرها ديني أو لساني . وجلها مما أنتجته قرائح العلماء

السابقين ، أزمان نهضة المسلمين العلمية فى العصور العباسية .

والمتأمل فيما ذاع بيننا من كتب القوم يرى فى أسلوب تأليفها نبواً عن ذوق هذا العصر الذى نعيش فيه بجوار أمم الغرب ونستمد منهم كثيراً من علومنا الكونية ، وشئوننا الحيوية .

لكن لا غرابة فى هذا ، فلكل أمة أساليبها فى الفهم والتفكير ، ولكل زمن ذوقه فى الكتابة والتأليف ، وعلى العلماء فى كل زمن وجيل أن يضعوا للناس ما يناسب زمانهم ، وتتطلبه حاجتهم .

وصلت الينا علوم المتقدمين فى اللغة والدين وغيرهما فى كتبهم ، فقرأناها ، وعرفنا أثر كل عصر من عصور التاريخ فى هذه العلوم ، وعرفنا الفرق بين أهل كل عصر وبيننا فى الفهم والاستنباط ، ثم وقفنا على حياتهم العامة والخاصة ، فظهر لنا من كل ذلك أن تلك الكتب قد ألفت لزمن غير زماننا ، وأن علينا واجباً هو أن نجددها بأساليب تلائم أذواقنا وأحوالنا ، لنخط بذلك لنا صفحة فى تاريخ العلوم والفنون الاسلامية ، فهل قمنا بالواجب علينا ؟

انى أخشى أن يرمينا التاريخ بالعقوق إذا قلت أننا لم نحدث لنا أثراً فى إنهاض علومنا وفنوننا ، فاننا لم نزد على أن نشرنا كتبها بيننا كما وضعها الأوائل من غير زيادة عليها أو نقص منها بما يلائم روح عصرنا ، ولا أعرف لذلك من سبب سوى أن اعتقادنا الكمال فى كل قديم وإيهامنا قوانا بالقصور عن الاتيان بمثل ما أتى به السلف لا يزال مالكاً علينا عقولنا ومشاعرنا ، وهذا أحد الأسباب فى تقاعدنا وانحطاطنا

على أننا إذا كتبنا جديداً — وقلما نفعل ذلك — فإنما نكتب بأقلام القدماء ، ونفكر بعقولهم ، فلا تميز بين كتاب يؤلفه عالم من علمائنا في الدين أو فروع اللغة . وبين مؤلفات القرن الرابع أو الخامس الهجرى .

والمطلع على سير التأليف عند أمم الغرب الآن لا يكاد يصدق أن ما يفعلونه من أعمال البشر ، فأنت لا تسمع برأى جديد أو مذهب حديث إلا رأيت الصحف والمجلات وألوف المؤلفات قد تناولته بحثاً وتعليقاً وشرحاً وتطبيقاً ، ونقداً ووزناً ، ولا تطلب علماً أو فناً حتى تجد فيه من طريف التآليف ما يأسر قلبك ، ويملك حسك ، وترى من الافتنان في تقريب العلم ، وتسهيل تناوله ما يملأ فؤادك روعة وإجلالا لأولئك القوم الذين ضربوا في الحياة بسهم ، فلكل دور من حياة الانسان كتب يقرؤها تناسب عقله وسنه ونوعه فما يقرؤه الطفل غير ما يقرؤه الصبي ، وهو غير ما يقرؤه الشاب أو الرجل ، وما يقرؤه الذكور غير ما يقرؤه الاناث وكل أولئك يقرءون كتبهم ويستمرئونها ويدفعهم الشوق الى طلب جديد غيرها ، وهم يجدون كل يوم من يكتب لهم جديداً ، ويؤلف طريفاً ، في الدين أو اللغة أو الأدب أو غيرها .

ان الفرق بيننا وبين أهل الغرب عظيم جداً ، انهم لا ينظرون الى أعمال أسلافهم بالعين التى ننظر بها الى أعمال أسلافنا ، انهم يعرفون قدر نفوسهم وعقولهم وأقلامهم ، أما نحن فقد جهلنا نفوسنا ، وعطلنا

عقولنا ، وأهملنا أقلامنا . لقد تغير كل شيء عندنا ، تغيرت الأفكار والعادات والأخلاق وكل شيء في نظام حياتنا أما كتبنا فلم تتغير مع ما تغير من أحوالنا . فهي هي بأمثلتها ، ومقدماتها وتناقضها وعباراتها وعيبها وخطئها وعلى طولها أو قصرها ، نجلها ونحترمها ، بل نعبدها ونقدسها مع أن مؤلفيها لو بعثوا في هذا العصر لأنكروها وأكبوا عليها إصلاحا وتهذيبا .

لهذا رأيت أن أجول جولة حول تلك الكتب القديمة مبينا ما أراه من المعايب فيها وذاكرا طرق إصلاحها بما يلائم روح عصرنا بادئا بمعجمات الأمة لأنها أحق تلك الكتب بالتجديد إذ عليها تعتمد نهضتنا العلمية والفنية

لمعة من تاريخ المعجمات :

وضعت أصول المعجمات التي بأيدينا في أيام النهضة الاسلامية الكبرى ، أزمان كان العلماء يستطيعون مشافهة العرب في البوادي ، والاختلاف اليهم فيما أشكل عليهم من مفردات وتراكيب ، إذ كانت الملكات لا تزال صحيحة في البادية ، لم يفسدها الاختلاط ، وقد أدى أولئك العلماء للسان العربي خدمة ما أجلها ، وأعظم عائدتها على الأمة الاسلامية !

وقد أخذ العلماء بعد عصر الأئمة الواضعين في ترتيب ما وصل اليهم من كتبهم ، واختصارها أو الجمع بينها ، فنشأت عن ذلك المبسوطات

والمختصرات التي بأيدينا الآن من مثل المخصص لابن سيده ، والصحاح للجوهري ، واللسان لابن منظور ، والأساس للزمخشري ، والمجمل لابن فارس ، والقاموس المحيط للفيروزابادي ، والمصباح المنير للفيومي ومختار الصحاح للرازي ، وتاج العروس للزبيدي .

المآخذ على المعجمات القديمة :

تلك المعجمات « على كثرتها وما عاناه الأقدمون في ترتيبها وتقريبها وما بذلوه من جهد في ضبطها وتهذيبها ، ومحاولة استيعاب الشوارد ، وتقييد الأوابد في بعضها لم تكن لتخلو من مآخذ وعيوب ، ظهرت بعد طول تأملها ، والاضطرار إلى استفتائها :

١ — من أوضح تلك المآخذ عليها في مجموعها عدم الاستغناء بواحد منها عن غيره ، مهما اتسعت مادته . فقد تجد في الصغير منها على صغره ما لا تجد في الكبير على كبره ، فتعثر في المصباح مثلاً على « العوائد » جمعاً للمادة ولا تكاد تجدها في غيره ، وتجد في الأساس وفي التاج « نقلاً عنه فيما اعتقد » لفظة « الشفاف » للجسم الذي لا يحجب ما وراءه ، على حين أنك لا تجدها في اللسان ولا في غيره ، والمثل على ذلك كثيرة .

أما ضرر ذلك التفرق فهو إضاعة كثير من الزمن في مراجعة الألفاظ وتحقيقها . وما أضر ذلك على معلم الإنشاء الذي يقف في كل سطر يكتبه تلميذه بلفظة أو لفظتين أو أكثر يحتاج أن يكشف عنها

عنها في بطون هذه المعجمات كلها (لا يستثنى منها صغيرا ولا كبيرا) وما أحوجه الى ذلك الوقت المضيع أن ينفعه فيما هو أعود بالنفع الجليل عليه وعلى تلاميذه .

على أن هنالك أمرا آخر غير ضياع الوقت ، وهو ضياع المال ، فطلاب اللغة واجب عليهم أن يقتنوا هذه المعجمات كلها ، مهما بلغ ثمنها ، قياما بحق صناعتهم ، وما أكثر ذلك وأثقله على المتأدبين ، ولو كان لدينا محيط جامع لأوابد اللغة وشواردها لاكتفينا به عن غيره ، فحفظنا وقتنا ، ووفرنا أموالنا .

٢ — ومنها سوء ترتيبها ، من حيث الخلط في شرح موادها ، فالقاموس المحيط مثلا تارة يبتدىء المادة بأفعالها ومصادرها ، ثم بالمشتقات والأسماء والجموع وما اليها . وطورا يبتدىء بشرح الأسماء والجموع ، ثم يأتي بالأفعال مجردها ومزيدها ، ثم يعود الى ذكر الأعلام والأماكن من غير ضابط ، ولا نظام ثابت ، وكل ذلك بطريق العطف بالواو ، من غير تمييز بأقواس أو علامات كما هو شأن المعجمات الأفرنكية التي يسهل على أصاغر الطلاب البحث فيها .

٣ — ومن ذلك غموض بعض عباراتها غموضا لا تذهب معه الحيرة ، ولا يبرح الخفاء ، مما يملأ نفس الباحث غيظا وسأما كما في التعريفات الدورية ، أو الإحالة على العرف الخارجي ، يظهر ذلك في شرح أسماء بعض النبات أو الحيوان أو العقاقير الطبية ، أو الألعاب

العربية . وما الى ذلك من الآلات والأدوات التي لا نعرفها اليوم ، وما أجدرنا بمعرفتها .

ومن أمثلة الغموض قول صاحب التاج في ترجمة (القَرْقُوس) : هو كحلَزُون : القاع الصلب لا نبت فيه ، أو الأملس الملبذ الأجرد الذي ليس عليه شيء ، وربما نبع فيه ماء ولكنه محترق خبيث كأنه قطعة نار ، ويكون مرتفعا ومطمئنا ، وهي أرض محسورة ، ومن سخرها أيبس الله نبتها ومنعه .

فمثل هذا القول (على طوله) لا يكشف شبهة ، أو يزيل حيرة ، وما زلت بعد قراءته بل وحفظه غير فاهم المراد منه .

٤ — ومن المآخذ عليها أنها يعوزها التحقيق العلمي أحيانا ، فإن بعض عباراتها ينافي ما أثبته العلم الحديث بحقائقه التي أساسها التجربة والمشاهدة الصحيحة ، مثل أن يقول لك صاحب القاموس (اليعسوب) أمير النحل وذكرها ، وهو خطأ صوابه (اليعسوب) أميرة النحل وأنثاها ، كما هو مبين في علم الحشرات .

٥ — ومنها أنك تجد فيها اختلافا كثيرا ، فيقول لك القاموس وشرحه في ترجمة (الكُجَّة) إنها لعبة لهم (العرب) ، يأخذ الصبي (خرقة) فيدورها ، ويجعلها كأنها الكرة ، ثم يتقامرون بها ، ويقول اللسان إنها (خرقة) ، وزاد على ذلك قول صاحب التاج أنها تسمى في الحضر باسمين : الخرقة يقال لها الدن ، والأخرى يقال لها البكسة .

أنا فلا أدري أصدق اللسان أم التاج ، وما زلت في حيرة
من طريقة القاموس بها كيف كانت ؟ ثم يزداد تعجبي من قول صاحب
اللسان إنها تسمى في المخصص باسمين . . . الخ لأنه لم يلبث أن أوقعنا في
حيرة أخرى بذينك الاسمين اللذين لا نعرف لهما مسمى .

٦ — ومنها كثرة الآراء المختلفة في اللفظة الواحدة فيقول لك
صاحب التاج في شرح (الأَبّ) هو العشب رطبه ويابسه ، أو المرعى ،
أو جميع الكلأ الذي تعتلفه الماشية ، أو هو من المرعى للدواب
كالفاكهة للإنسان ، أو جميع ما أنبتت الأرض .

وفي شرح (الإِتْب) هو ثوب يشق في وسطه ، فتلقيه المرأة
في عنقها من غير جيب ولا كمين ، أو هو ما قصر من الثياب فنصف
الساقين ، أو هو النقبة أو البقيرة ، أو هو قميص بلا كمين ، وقيل
الإتب غير الإزار لا رباط له كالتكة وليس على خياطة السراويل ،
ولكنه قميص غير مخيط الجانبين .

وفي شرح (الأثاث) هو الكثير من المال ، وقيل كثرة المال ،
وقيل متاع البيت من لباس أو حشو لفراش أو دثار ، وقيل المال كله
من الإبل والغنم والعبيد والمتاع ، وقيل هو ما يتخذ للاستعمال أو
للتجارة ، وقيل هو جمعي ، وقيل هو ما جد من متاع البيت لا ما رث
وبلي ، قيل لا واحد له ، وقيل واحدته أثاثة .

وهكذا لا تكاد تقرأ مادة في الكتب المطولة إلا رأيت مثل هذا
الخلاف الذي لا طاقة لنا بالصبر عليه .

٧ — ومنها طول بعضها طولاً مملاً بذكر ما لا طائل تحته من الحشو ، والاسترسال في الاستشهاد لصحة المفردات ، واختصار بعضها اختصاراً مخلاً بحاجة صغار الطلاب بحيث يدعو إلى نبذه لولا ما به من شوارد قد لا توجد في غيره . ومن أمثلة ذلك المختار والمصباح وما شاكلهما .

٨ — ومنها ذكر بعضها لأسماء الأمكنة والبقاع ، وأعلام القبائل والأشخاص ، وإغفال بعضها كل ذلك ، واقتصاره على مادة اللغة .

٩ — ومنها أن بعضها يعنى بشرح التصاريف وعللها ، والمشتقات وأصولها ، والمصادر ومسموعها ، والجموع وغرائبها ، والنسبة وشواذها ، والحقيقة والمجاز ، ومنها ما لا يعنى بذلك كبير عناية .

١٠ — ومنها كثرة وقوع الخطأ اللفظي فيها (وتلك طامة كبرى) بسبب جهل النساخ قديماً والمصححين حديثاً ، أو قلة عنايتهم ، أو خطأ المؤلفين أنفسهم ، وذلك واضح فيما هو غير مضبوط منها : فتقرأ في أساس البلاغة (طبعة مصر سنة ١٣٢٧) في مادة (جمع) : ما جاءني إلا (جمعية) منهم ، والكتاب غير مضبوط ، فتفرح بكلمة (جَمْعِيَّة) ظاناً أنها مما ورد في اللغة ، ولكن لا تلبث أن تقرأ تصحيحها في الطبعة الأميرية الجديدة سنة ١٣٤٠ هكذا (ما جاءني إلا جُمَيْعَة) فيستحيل فرحك زراية على المطابع والمصححين والناسخين ، وكل من كان له أثر في ذلك الخطأ من القدماء والمحدثين .

وفى القاموس المحيط كثير من هذا الخطأ استدركه عليه التاج والوشاح والجاسوس وغيرها.

١١ — ومنها حاجتها إلى الصور والرسوم لتوضيح المجهول من أسماء النبات والحيوان خاصة بما يزول معه اللبس ، كما فعل بعض مترجمى العرب فيما ترجموه عن اليونان ، وكما يفعل أهل الغرب بمعجماتهم .

١٢ — ومن المآخذ عليها اختلاف ترتيبها ، وعدم اتحاد طريقة البحث فيها ، مما جعل بعضها يتنأى عن أيدى بعض المتعلمين ، وما أحسن أن توحد طريقتها وطريقة المعجمات الأفرنجية ، وهى الطريقة التى وضع عليها الأساس والمصباح وما فى معناها .

(يتبع) **مصطفى السقا**

مدرس بمدرسة الأمير فاروق الثانوية

المعجمات العربية

« تابع ما قبله »

طور التهذيب الحديث

ظهرت تلك المآخذ « التي ذكرناها في الجزء الماضي من الصحيفة » لكثير من أنصار اللغة ، وذوي الغيرة على الأدب العربي ، فهبّوا إلى ترقية شئونهما ، والأخذ بناصرهما ، وفكّروا في اصلاح المعجمات القديمة أو وضع غيرها . ولم يقف الأمر عند التفكير ، بل وصل إلى الشروع ، وإبراز الفكرة من مكمنها ، فقام أديب مصري فاضل « وأعني به المرحوم النجاري بك » لترتيب ‹‹ لسان العرب ›› ترتيباً يقال إنه على أسلوب المعجمات الإفرنجية الحديثة ، ولكنه عاجلته المنيّة دون إتمامه ، ونحن نأسف أبلغ الأسف لوقوف هذا المشروع حيث وقف به صاحبه ، وقلّة من اهتم فينا بالأمر من بعده !

ووضع بعض أفاضل السوريّين مُعجَمات جديدة لخصوها من تلك المعجمات القديمة ، ومن أحسنها وضعاً وترتيباً ‹‹ محيط المحيط ›› و ‹‹ قُطر المحيط ›› للبستاني ، و ‹‹ أقرب الموارد في فُصح العربية والشوارد ›› للشرتوني ، و ‹‹ المنجد ›› للويس معلوف اليسوعيّ

نقص المعجمات الحديثة

لكنّ شيئاً من ذلك لم يكن ليغيّر من الحالة القديمة التي ما زلنا نشكو منها أليم الشكوى :

فأما محيط المحيط وقطره فلا تدحان الا ترتيبهما ، وفي غير ذلك يشتركان فيما اشتركت فيه المعجمات القديمة من العيوب والمآخذ ، على أنهما مزيج من الألفاظ العربية والدخيلة والمولّدة ، وهما حريّان أن يكونا معجمين لما يتكلم به أهل العربية من صحيح وغير صحيح ، لا أن يكونا معجمين عربيّين ، ذلك إلى قلة رُواتهما وعدم الاعتناء بطبعهما

وأما أقرب الموارد فهو احتذاء وتقليد لمحيط المحيط إلا أنه أفضل منه تنسيقاً وتدقيقاً ، وأجمل طبعاً ووضعاً ، وأكثر استيعاباً للشوارد ، وتقييداً للأوابد المبعثرة في دواوين الأدب وكتب اللغة . على أنه لا يخلو من عيوب كان يجب أن يبرأ منها

أما أولاً فإغفاله ذكر الأماكن والبقاع ، وأعلام القبائل والأشخاص ، مع شدة الحاجة إليها

وأما ثانيا فذكره للمولد والدخيل « تقليداً لمحيط المحيط وقطره » ومثل هذا المعجم كان يجب ألا يحوي غير الفصيح والصحيح كما فهمنا ذلك من عنوانه

وأما ثالثاً فتركه كثيراً من المفردات اللغوية مع محاولته استيعابها من المعجمات وكتب الأدب وما إليها

وأما رابعا فكثرة ما به من ذيول تجرّ إلى ذيول ، وفهارس للتنبيه والتكلة ، والتصحيح ، والاستدراك ، وغير ذلك مما ينفد معه الصبر الجميل

وأما خامسا فخلوه من الصور الموضّحة لمشكلاته وغوامضه

ذلك إلى أشياء أخرى لم يخل منها معجم قديم أو حديث

وأما المنجد فهو نموذج حسن لمعجم مدرسى صغير ، وهو على صغره أوفى مادةً من المصباح والمختار ، ولا يخلو من بعض ما أخذ على أقرب الموارد وغيره ، كأغفاله الأماكن والأعلام الضرورية ، وذكره المولد والدخيل ، ولكنه يفضله بالصور والرسوم التى توضّح بعض المبهمات فيه

بدعة فى تأليف المعجمات

ومما يؤخذ على هذه المعجمات الجديدة ، ذهاب أصحابها جميعا مذهبا واحدا ، فى حذف جانب كبير من اللغة من معجماتهم ، تحرّجا وتأثما ، ذلك هو القسم الخاص بالرّفث وألفاظ العورات والسوءات ، فلا تجد قليلا ولا كثيرا منها فى المعجمات الحديثة التى سبق الكلام عليها ، على حين أنك قد لا تجد (ترجمة) تخلو من هذه المعانى أو ما يتعلق بها فى المعجمات القديمة . حذفوا ذلك القسم إبقاء على الآداب (كما يقولون !) وتنزيها للأبصار أن تقع على هذه العورات ، خوفا أن تهيج الشر من مكمنه ، وتنشر الإثم والخزى بين الناس

مذهب جميل فى التربية ، يذهب إليه الفرنجة فى تآليفهم الجديدة أدبية ولغوية ، إلا أنى أعتقد أنه مذهب نظرى ، لا يعلم الناس إلا شيئا واحدا ، هو الرياء وتصنع الأدب . وماعجبت لشىء عجبى لقوم لايستحيون أن يدوسوا الفضيلة بأقدامهم ، بما يعملونه من أعمال ، هى غاية فى

القباحة والقحة . ثم تقوم قيامتهم لفظة يجدونها في كتاب ، يظنون ان في ذكرها هتكا لحرمة الفضيلة والآداب ، ليوهموا الناس انهم من انصار الحق ، واعوان الشرف ، وماهم وحقك إلا الأدعياء ، يتقمون من الآداب باسم الغيرة على الآداب والإبقاء على الفضائل

ولعمرى لئن كان لهم بعض العذر في حذف ذلك من كتب الأدب التي تقع في ايدى الشبان والشوابّ ، فليت شعرى ما عذرهم في حذف ذلك من كتب اللغة ؟ وكيف يفخرون بتمزيق اوصالها ، وبتر اجزائها ؟ ألم يكن احرى بهم ان يرقوا الآداب العملية الاجتماعية ، ويرفعوها من هذه الوهدة التي اختنقت فيها الفضيلة ، ولا عليهم بعد ذلك ان تمتلئ صفحات الكتب بهذه المسميات التي يستحيون من (كتابتها !)

والخلاصة انا لا يصح ان نذهب مذهب التومهق وضع معجماتنا ، لأنا لا يرقنا هذا الرياء والأدب المتصنع ، لا يصح ان نحذف شيئا من مادة اللغة . ومهما يكن ذكره قبيحا فحذفه اقبح وآثم ، لأننا امناء على هذه اللغة لا يصح ان نميت منها إلا ما اماته اهلها ، ومع ذلك فقد نذهب هذا المذهب الجديد في احاديثنا ، وما ننشره من آدابنا ، وفي النسخ التي يتداولها صغار الطلبة والطالبات من كتبنا . اما في المعجمات الكبيرة فلا

الدعوة لإصلاح المعجمات

ولما كان إصلاح المعجمات وتهذيبها من أول الوسائل لأنها من

اللغة ، وأقوى للمبدأت للنهضة العلمية الفنية التي تسمى إليها الممالك العربية عامة ، والمملكة المصرية خاصة ، سعياً حثيثاً . وكان كل ما عمل بها حتى الآن : من اختصار وتهذيب لمطولاتها ، ومن بسط وتطويل لمختصراتها ، غير محقق للغاية التي ينشدها محبو العربية المتعلقون بها ، رأيت أن أنشر اقتراحي هذا بين الناطقين بهذه اللغة الشريفة ، رجاء أن نتعاون جميعاً على إحيائها ، وإصلاح شئونها ، ووضع معجمات جديدة ، على الطريقة التي سأرسمها . فإننا معاشر الناطقين بالعربية أحوج ما نكون إلى النهوض بلغتنا في هذا العصر ، الذي نرى فيه رقي اللغات من أسباب سعادة الأمم ، وقوتها ، وحياتها ، ونرى فيه الأمم والجماعات المختلفة تجعل العناية بمسألة اللغة ونشرها من أهم المسائل التي يترتب عليها فوزها في مستقبل حياتها ، فلا بد لنا من مجاراة تلك الأمم في إحياء لغاتهم ونشرها ، حتى نصل إلى ما وصلوا إليه بجدهم ، والله يوفقنا إلى خير العمل

تأليف لجنة لوضع المعجم

لذلك أرى أن تؤلف لجنة كبيرة من أفاضل المشتغلين بالعلوم العربية والفنون اللغوية ، ليؤلفوا للناس محيطاً جامعاً لما وسعته المعجمات على اختلاف مناحيها ، من مفردات وتراكيب ، لا يغادر منها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، حتى يكتفي به الباحثون عن صغار المعجمات وكبارها ، وليكون هذا المحيط خاتماً لعهد الاضطراب ، والاختلاف ،

وتشتت الافكار ، وتبلبل الألسن ، وكثرة الأقوال ، وضياع الزمن والمال

أما تأليف اللجنة فأمر لا بد منه لأن ذلك العمل الشاق مما لا تستقل همة فرد بأعبائه ، ولأن كل ما ظهر من عمل الأفراد (فى اللغة) حتى اليوم لا يخلو من شوائب نقص ، ولأن عمر الجماعات أطول من عمر الأفراد ، ولأننا نريد أن يتم ذلك العمل فى القريب العاجل ، وهيهات أن تفى قدرة فرد بذلك

وإذ كان الناس يلحون على أولى الأمر فى مصر الآن بتأليف لجنة لوضع مدونة كبيرة للعلوم (دائرة معارف) رأيت (بهذه المناسبة) أن أذكرهم بما قد يعترض العاملين فيها ، فيعطل سيرهم ، أو يوقفه ، زمناً طويلا (على الأقل) من المشكلات اللغوية . ولذلك أرى أن يكون تأليف اللجنة اللغوية حكومياً (تقوم به وزارة المعارف ، وعلى حسابها) ما دام تأليف اللجنة العلمية سيكون حكومياً . وأقول أيضاً أنه لا بد من توطيد الصلة بين اللجنتين ، حتى يتم التعاون بينهما ، بيْدَ أنى أفضل أن تسبق اللجنةُ اللغويةُ فى العمل اللجنةَ العلميةَ ، لتمهد لها كثيراً من مسائل اللغة كالاشتقاق والتعريب والتوليد ، وما إلى ذلك من المسائل التى لا بد من تمحيصها قبل أن تقوم اللجنة العلمية بعملها ، وإلا وقفته أو أخرجته للناس مشوهاً ناقصاً

ولا بد عند قيام اللجنة اللغوية بعملها أن تكون على اتصال تام بالرأى العام ، بنشر مناهجها وما يعترض طريقها من عقبات على

الجمهور ، وفيه (والحمد لله) كثير من ذوى الأفكار الناضجة ، والفكر الصائبة ، فلعل ذلك مما يسهل عليها القيام بعملها كاملا .

المعجمات التي تضعها اللجنة ونظامها

تبدأ اللجنة عملها بوضع محيط كبير (المعانى) ، وبعد أن يتم تأليفه يختصر منه نسختان ، تحوى إحداهما ما لا بد منه للمطالعين الذين يؤثرون العجلة فى الكشف ، ممن لا يسمح لهم الوقت بقراءة المادة المطولة فى المحيط الكبير ، وتكون فى حجم أقرب الموارد . أما الثانية فتكون دون هذه ، وتعمل لطلبة المدارس ومن فى درجتهم من المتعلمين . ويجب أن يكون نظام هذا المعجم المحيط فريدا ، وأرى أن يحصى الفصيح والصحيح من لغة العرب فى بعض أسفاره ، مع تقصى جميع ما ورد من ذلك فى كتب اللغة ودواوين الأدب .

ثم يضاف إلى ذلك سفر خاص بأعلام الأشخاص والقبائل والبلاد والأماكن .

ثم سفر آخر يختص بالمولد والدخيل فى جميع العصور الإسلامية (غير الذى أدخله العرب أنفسهم فى لغتهم ، وجرى منها مجرى الاسم فى الخصم ، وصار مجهول النسب) .

وهذان السفران يكونان قابلين للنمو على حسب مقتضيات الزمان ، فيمكن لكل جيل أن يضيف اليهما ما شاع فى عصره من مولد ودخيل واعلام ونحوها ، أما الأسفار الخاصة بمادة اللغة فلا

يصح زيادة شيء عليها إلا ما عسى أن تثبته معجمات ليست بأيدينا الآن إن صح أن في الوجود معجمات أخرى

أما ترتيب مواده فعلى نظام أقرب الموارد والمنجد، لأنه خير نظام أخرج للناس. وأما ضبطه بالشكل الكامل، ومراعاة الدقة في تصحيحه، فيجب أن يكونا بالمحل الأول من اهتمام المنفذين لهذا المشروع الجليل، حتى يبرأ مما أصاب معجماتنا من غلطا وتشويه ومسخ

وبعد فلا أرى هذه المعجمات الثلاثة (المحيط ومختصريه) سادة حاجتنا من جميع وجوهها، بل لا بد من وضع معجمات أخرى (للألفاظ) على طريقة المخصص لابن سيده لأن تلك معجمات اهل الفنون والصناعات والمترجمين ونحوهم ممن يعرفون المسميات ولا يعرفون اسماءها. ونحن في إبان هذه النهضة المباركة لا بد ان تمد يد المعونة لأولئك الساعين في إنهاض الممالك العربية نهضة علمية فنية بإيجاد المعجمات التي يسهل عليهم الرجوع إليها

عند ذلك استطيع ان اقول إننا نخدم لغتنا، ونقوى جامعتنا، وإننا قد وضعنا حجر الزاوية في بناء النهضة العربية، وإننا ناهضون ومسرعون الى الحياة المستقلة السعيدة، التي نحن احق بها واهلها ما؟

مصطفى السقا

مدرس بمدرسة الامير فاروق الثانوية

السنة الأولى (المحرم ١٣٥٤ — إبريل ١٩٣٥) العدد الرابع

صحيفة دار العلوم

مجلة الأدب واللغة والتربية والاجتماع

تصدرها «جماعة دار العلوم»
كل ثلاثة أشهر

قررت وزارة المعارف ومجالس المديريات «صحيفة دار العلوم» في جميع مدارسها

المدير
أبو الفتح الفقي

رئيس التحرير
محمد علي مصطفى

ملابسنا

فى كتب اللغة

بقلم مصطفى السقا

الخبير بمجمع اللغة العربية الملكى

من القواعد التى وضعها مجمع اللغة العربية الملكى للعمل بها عند وضع الألفاظ بإزاء المعانى المستحدثة أن يبدأ بالبحث عن الألفاظ العربية الفصيحة ، التى استعملها القدماء فى أغراض تشبه أغراضنا فى العصر الحاضر .

وقد خطر لى أن أدرس باب الملابس فى المعاجم العربية وكتب فقه اللغة ، لعلى أجد فيها من فصيح الألفاظ ما يسد بعض حاجتنا فى هذا الباب . فقد استأثرت اللغات الأجنبية بالتعبير عن كثير من شئون حياتنا ، وانقطعت الصلة أو كادت بين أسماء ملابسنا القديمة وملابسنا الحاضرة ، فإذا عرض لنا من أسماء الملابس القديمة شىء فيما نقرأ من كتب الأدب أو اللغة لم نتبينه ، وكأننا أمام رسم دارس من رسوم الأولين ، نحاول حل رموزه ، والكشف عن ألغازه .

قد يكون من الحق أن ملابسنا الحاضرة تختلف كثيرا عن ملابس العرب فى الجاهلية والإسلام ، لأن كثيرا من أزيائنا مستعار من المدنية الغربية الحديثة . فليس من العجب إذا أن تكون الكثرة من أسماء الملابس أجنبية كمسمياتها .

غير أننا لا نزال نجد فى كتب العرب جملة من أسماء الملابس تشبه

مسمياتها بعض ماتلبسه فى **هذا العصر مسمى** بغير اسمه العربى ، مع **فروق** يسيرة اقتضتها أحوال الزمان والمكان .

فإذا استطعنا أن نتجاوز عن الفروق التى لا تمس الجوهر استطعنا أن نحيى ألفاظا عربية تغنى غناء بعض الألفاظ الأعجمية ، التى نستعملها فى غير ضرورة ماسة .

وإنى أعرض فى (صحيفة دار العلوم) ما وجدته من أسماء الملابس التى يمكن وضعها لبعض ما نلبس ، راجيا من محبى البحث اللغوى أن يتبعوها بالنقد والتمحيص ، برا بالعربية ، وضنا بها أن ترمى بالعقم ، رفعها من عوالى الكلم ، ونفائس الدرر ما يزرى بالياقوت والجوهر .

ما يوضع على الرأس

القَلَنْسُوَة : الطربوش

الكُمَّة : طربوش العمة

فى اللسان ـــ القَلَنْسُوَة والقَلَنْسِيَة ... من ملابس الرأس معروفة

وفى اللسان أيضا ـــ الكُمَّة : القلنسوة المدورة ، لأنها تغطى الرأس ...

وفى الحديث : «كانت كِمَام أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بُطْحا» (وفى رواية أَكِمَّة) قال : هما جمع كثرة وقلة للكمة : القلنسوة ، يعنى أنها كانت منبطحة غير منتصبة .

وفى الأساس ـــ واعتم على الكُمَّة ، وهى هذه القلنسية اللاصقة بالرأس ، على مقداره ، وتقول : لاتحسن العمة ، إلا على الكُمَّة .

هذه النصوص أوضح ما فى المعاجم العربية فى تفسير القلنسوة والكمة ، وهى فى الحقيقة قاصرة لاتصور المعنى ، بالدقة التى يطلبها هذا العصر ، وقد نسى أصحاب المعاجم أن العرف الذى يحيلون عليه فى تعريفه

الأشياء الطبيعية حينما يقولون : (نبات معروف ، أو حيوان معروف) لا ينبغي الإحالة عليه في مثل الملابس، لأنها أمور صناعية تختلف باختلاف البيئات والعصور.

بعد هذا أقول : أنكتفي من المعاجم بأن القلنسوة والكُمّة من ملابس الرأس ، مع ملاحظة ما بينهما من فرق . فنضع القلنسوة في استعمالنا اللغوي بدلاً من (الطربوش) والكُمّة بدلاً من (طربوش العمة) . ونغض النظر عن المادة واللون والهيئة الخاصة ؟ أم نقول إن العرب وضعت كلاً من القلنسوة والكمة اسما لمسمى خاص ، ولا يجوز أن يجعل اسم الشيء علما على آخر لما يتبع إخراج الألفاظ عن معانيها الأصلية من فساد في اللغة ، وخفاء في الاستعمال ؟

الذي أختاره التوسع . وحمل الأمر على المجاز ما وسعنا المجاز بعلاقاته وقرائنه ، وحسبنا هنا أن كلا من القلنسوة والكمه من ملابس الرأس ، وأن الأولى منتصبة (على هيئة الطربوش) والأخرى منبطحة لاطئة بالرأس . وفي هذا التشابه في الغرض والصنعة ما يحملنا على ألا نتردد في إيثار اللفظين العربيين على اللفظين الدخيلين .

على أن ما يمتاز به اللفظان العربيان من وجود صيغ أفعال من مادتهما ، ووجود مصادر ، وجموع للقلة وللكثرة أحيانا ، يجعلهما أصلح للبقاء ، وأحق بالإيثار ، وأحسن تصرفا في أساليب الكلام .

ما يوضع على الجسم

نرى قبل تسمية أنواع الملابس التي تلبس على الجسم أن نتكلم على طبقاتها ، وقد قسمها القدماء إلى طبقتين : شعار ودثار ، وقد يكتفي أصحاب المعاجم في شرح الكلمة بأن يقولوا : هي شعار ، أو دثار ، أو نحو ذلك .

الشعـــار

فالشعار : اسم لكل ثوب يلي جسم الإنسان ، سواء أكان من القطن أم من الصوف أم من الحرير أم من غيرها ؛ ويختلف هيئة تفصيله كما تختلف مادته باختلاف أحوال الناس في الغنى والفقر ، وباختلاف الأجواء وطبائع البلاد ، وباختلاف الأشخاص ذكرانا وإناثا . وقد يفهم كل هذا من إطلاق اللغويين لفظ الشعار من كل قيد سوى ملامسة جسم اللابس.

قال صاحب اللسان : الشعار : ماولي شعر جسد الإنسان دون ماسواه من الثياب ، والجمع أشعرة وشُعُر . وفي حديث الأنصار : « أنتم الشعار والناس الدثار » أي أنتم الخاصة والبطانة . اهـ

الدثار

والدثار : هو الطبقة الثانية تلي الشعار ، وقد يكون ثوبا واحدا أو أكثر . قال في المصباح : الدثار ما يتدثر به الإنسان ، وهو ما يلقيه عليه من كساء أو من غيره ، وتدثر بالدثار : تلفف به . وفي القاموس : الدثار (بالكسر) ما فوق الشعار من الثياب .

الملاحف

واللغويون يسمون الملابس التي يتغطى بها اللابس من نحو الرداء والجبة والملاءة بالملاحف ، كما يطلقونها على الأغطية التي يتدثر بها في النوم

قال صاحب اللسان : اللحاف والملحف والملحفة : اللباس فوق سائر اللباس من دثار البرد ونحوه . وكل شيء تغطيت به فقد التحفت به . اهـ .

وجمع اللحاف : لُحُف . وجمع الملحف والملحفة : ملاحف .

وجدير بي هنا أن أشير إلى أن الثياب التي تلبس نوعان ، فمنها : ما يُقَطَّع ويُفصَّل على قدر الجسم ، ومنها ما لا يفصل . قال صاحب اللسان في مادة (قطع) :

المقطع من الثياب : كل ما يفصل ويخاط ، من قيص وجباب وسراويلات وغيرها . وما لا يقطع منها كالأردية والأُزُر والمطارف والرِّياط التي لم تقطع ، وإنما يتعطف بها مرة ، ويتلفع أخرى .

وهذا الفرق الذي ذكره صاحب اللسان وشارح القاموس ينفعنا كثيراً حين نقرأ الباب الذي عقده ابن سيده في الجزء الرابع من المخصص بعنوان (الملاحف) فإنه لم يذكر فيه من الملاحف إلا ما لم يُقَصَّل ولم يُخَطْ ، كالأردية والأُزُر والرياط والمعاطف .

وعلى ذكر المعاطف أحب أن أنبه على شيء التبس على بعض الناس فهمه ، فقد شاعت كلمة المعطف بيننا اسماً لذلك الملحف الذي يسميه الناس (البالطو) وسمته إحدى لجان المجمع (المِدْرع) فليس من شك أن (البالطو) مما يفصل ويخاط ، ولكن العطاف أو المعطف الذي ذكره ابن سيده في المخصص : رداء ، أي ثوب غير مخيط ولا مُفَصَّل يُرْتَدَى على المنكبين والكتفين ومُجْتَمع العنق ، ثم يعطف طرفه ، أي يثنى . قال الراغب في المفردات : المعطف يقال في الشيء إذا ثُنِيَ أحد طرفيه إلى الآخر ، كعطف الغصن والوسادة والحبل ، ومنه قيل للرداء المثنى عِطاف .

فما أحقنا أن نعدل عن كلمة معطف (للبالطو) لأنها وضعت في غير موضعها .

أنواع من الملابس

المجسد . الغِطاية . الغِلالة

فى تاج العروس — المجسد (كمنبر) : ثوب يلى الجسد ، أى جسد المرأة فتعرق فيه . وقال ابن الأعرابى : « ولا تخرجن إلى المساجد فى المجاسد » هو جمع مجسد ، وهو القميص الذى يلى البدن . اهـ

ومثل المجسد الغِطاية والغِلالة . قال ابن سيده فى المخصص : الغِطاية : ما تغطت به المرأة من حشو الثياب تحت ثيابها . والغِلالة نحوها ، وهما أيضاً الشعار . اهـ

وفى الأساس — وبرزت فلانة فى غِلالة ، وبرزن فى غلائل ، وهى شعار يلبس تحت الثوب على البدن خاصة . اهـ

هذه ألفاظ عربية فصيحة عذبة هجرناها وآثرنا عليها ألفاظاً دخيلة هى (الفانلة والكاشكورسيه) ونحوها من الألفاظ التى يتحدث بها النساء حينما يردن أنواع الأشعرة التى تلى أجسامهن .

قد يقول قائل : إن لهذه الألفاظ الدخيلة دلالة خاصة : كالدلالة على النسيج ذى الهدب ، أو الذى يمتد إذا مد ، وكالدلالة على هيئة التفصيل من حيث طول القميص أو قصره ، ووجود الأكمام أو عدمها ، ونحو ذلك مما لم يلاحظ فى ألفاظ المجسد والغطاية والغلالة .

وجوابنا عن هذا أن الصفة الأساسية للشعار أنه الثوب الذى يلى الجسد من أية مادة ، وعلى أية هيئة . وهذا المعنى ملحوظ فى الألفاظ العربية . فالمجسد الذى يلى الجسد ، والغطاية التى تغطيه ، والغلالة التى يُتغلل فيها ، أى يُدخل . وهذه المعانى أثبت على الزمان ، وأبقى من هيئة التفصيل ، ونوع النسيج ، ورقته أو صفاقته ، مما يختلف باختلاف أحوال الناس وبيئاتهم .

وقد يفهم من نصوص المعاجم السابقة أن الألفاظ الثلاثة لشعار النساء خاصة، وهذا صحيح فى المجسد والغطاية، أما الغلالة فالذى يظهر أنه عام فى شعار الرجال والنساء. قال صاحب اللسان: الغلالة: شعار يلبس تحت الثوب. لأنه يتغلل فيها أى يُدْخل. وفى التهذيب: الغلالة: الثوب الذى يلبس تحت الثياب. اهـ

فصاحب اللسان وصاحب التهذيب يطلقان القول فى الغلالة، ولا يخصانها بالنساء، ولكن ابن سيده ذكرها فى الجزء الرابع من المخصص فى الصفحة ٣٨ وعدها من ملابس النساء وثيابهن. وقد يستأنس لجعل الغلالة من ملابس الذكور بقول الشاعر:

لا تعجبوا من بلى غلالته قد زر أزراره على القمر

فإن ضمير صاحب الغلالة مذكر، هذا إذا لم يرد به الشاعر معنى الحبيب ونحوه.

بقى فى تفسير الغلالة قول الراغب الأصفهانى فى المفردات فى غريب القرآن وهو:

الغلالة: ما يلبس بين الثوبين، فالشعار لما يلبس تحت الثوب، والدثار لما يلبس فوقه، والغلالة لما يلبس بينهما. وهذا أغرب ما رأيته فى تفسير الغلالة

القميص

جمعه أقمصة وقمصان وقُمُص. وهو مذكر إلا إذا قصد به الدرع الحديدية.

وكتب اللغة تتفاوت فى تحديد معنى القميص، وأكثرها يحيل على العرف، فيقول صاحب اللسان: «القميص الذى يلبس معروف، مذكر». ويزيد عليه صاحب القاموس فيقول: «القميص وقد يؤنث

ـ م ـ (معروف) ولا يكون إلا من قطن ، وأما من الصوف فلا » اﻫ
وزاد الشارح بعد (من قطن) أو كتان .
والمعروف أن القميص من الشعار ، ولم يصرح بذلك من أصحاب المعاجم القديمة غير شارح القاموس إذ يقول : « وذكر الشيخ ابن الجوزى وغيره أن القميص ثوب مخيط بكمين غير مُفرّج ، يلبس تحت الثياب ... قال شيخنا : وقال قوم : ولعله مأخوذ من الجلدة التى هى غلاف القلب ، وقيل مأخوذ من التقمص ، وهو التقلب » .
وقال ابن سيده : « قميص القلب : شحمه ، أراه على التشبيه » اﻫ .
وصاحب المنجد من المتأخرين يقول : « القميص ما يُلبس على الجلد » . اﻫ
ولفظ القميص فى العربية هو عينه فى بعض اللغات الأوربية (Chemise) ويدل على نحو ما يدل عليه اللفظ العربى ، ولذلك زعم بعض الباحثين فى الألفاظ أن اللفظ العربى معرب عن اللاتينية (انظر كتاب تفسير الألفاظ الدخيلة ، للقس طوبيا العنيسى الحلبى اللبنانى) .
ولكن المعجمات العربية لم تنص أن اللفظ مُعَرّب ، ولعله مما تُنُوسِى تعريبه ، لقدمه فى اللغة .
هذا ، والقميص فى العربية من ملابس الرجال والنساء ، وفى القرآن العزيز : (إن كانَ قَميصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فصَدَقَتْ) ، وقال الشاعر :
أبت الروادف والثُّدِىُّ لقُمْصِها ... مَسَّ البطون وأن تمس ظهورا
وخلاصة هذا البحث أن القميص هو الكلمة الرابعة التى تدل على الشعار فى العربية ، وإذا سلمنا أن الألفاظ الثلاثة السابقة خاصة بشعار النساء ، فالقميص لشعار الرجال والنساء جميعا ، فلنستعمله بدلا من كلمة (فانلة) للرجال والنساء .

الإِتْب ــ المِئْتَبة

ذكر صاحب اللسان وصاحب القاموس وشارحه في تفسير الإتب والمئتبة أقوالا كثيرة، نختار منها التفسيرين الآتيين:

١ ــ «الإتب ـ من الثياب ـ ما قَصُر فنصف الساق».

٢ ــ «الإتب: قميص بغير كمين».

وإذا لم نشغل أنفسنا بالأقوال الأخرى التي نقلت في تفسير الإتب، جاز لنا أن نجمع بين هذين القولين وأن نطلق الإتب أو المئتبة على ذلك الثوب الذي ينصُفُ الساق ولا كم له، وهو الذي يسميه سيدات العصر (قميص النهار) وهو ما يلبس تحت الدرع.

الدرع

في المخصص ــ دِرْع المرأة: قميصها، مذكر، والجمع أدراع. اهـ.

وفي اللسان ــ درع المرأة: قميصها، وهو أيضا الثوب الصغير تلبسه الجارية الصغيرة في بيتها، وكلاهما مذكر، وقد يؤنثان. وقال اللحياني: درْع المرأة مذكر لا غير، والجمع أدراع. وفي التهذيب ــ الدرع: ثوب تجوب المرأة وسطه، وتجعل له يدين، وتخيط فرجيه. ودرّعت الصبية، إذا ألبست الدرع. اهـ.

وفي القاموس ـ الدرع من المرأة: قميصها، مذكر، والجمع أدراع. اهـ.

هذه النصوص تكاد تتفق على أن درع المرأة قميص، لولا ما نقله اللسان عن التهذيب من أن الدرع ثوب... الخ.

وأنا أميل إلى أن الدرع ليس قميصا، بل هو الثوب الذي يلبس فوق القميص، وهو الذي نسميه بلسان العامة (جلباب البيت). ويساعدنا على هذا عبارة التهذيب السابقة، وقول آخر نقله ابن سيده في المخصص عن

ابن السكيت في تفسير معنى الشيجة إذ يقول : الشَّيجة : درع عرض بدنه إلى عظامة الساعد . تخاط جانباه . وله كُمٌّ صغير طوله شبر . يلبسه ربات البيوت . فأما الجواري فيلبسن القُمُص .

فهذا القول صريح في أن الدرع ليس من القمص ، وإنما هو شيء آخر تلبسه ربات البيوت . وقد يفهم من قوله (يلبسه ربات البيوت) أنه موصوف بزيادة في السعة و الطول يمتاز بهما عن القميص ، ليناسب ربات البيوت في احتشامهن وأسنانهن .

وأصرح من ذلك في أن الدرع غير القميص قول أبي منصور الثعالبي في الباب الثالث والعشرين من كتاب فقه اللغة :

الإتب والقرقر[1] والقرقل ، والصدار والمجول ، والشوذر : قمص متقاربة الكيفية في القصر واللطافة وعدم الأكمام . يلبسها النساء تحت دروعهن[2] . وربما اقتصر عليها في أوقات الخلوة ، وعند التبذل . اهـ

فهذا القول غاية في الصراحة في أن الدرع يلبس فوق القميص ، وليس هو القميص . ونحن نستحسن جداً أن نطلق لفظ الدرع على (جلباب المنزل) أي ما يسمى : (Robe)

الشيجة ـــ الشبيجة

وأحب ألا أترك هذه الفرصة تمر دون أن أحيي لفظاً عربياً هو (الشيجة أو الشبيجة) التي سبق شرحها في الكلام على الدرع ، فقد

(1) نقلنا هذا النص من كتاب فقه اللغة بحروفه ، وصاحب تاج العروس يقول في تفسير (القرقل) ما يأتي : وهو الذي تسميه العامة (قرقر) وفي التهذيب : ونساء أهل العراق يقولون (قرقر) وهو خطأ .

(2) خالف أبو منصور جمهور اللغويين الذين جعلوا درع المرأة على قميصها !

تجاهلنا هذا اللفظ، وأحيينا بدلا منه لفظا دخيلا كثيرا ما يرد على ألسنة سيدات العصر، وهو (Robe Japanese).

المجـــول

المخصص ــ المجول: درع خفيف تجول فيه الجارية. اه

الأساس ــ وبرزت فى مجولها، وهو ثوب تلبسه الفتاة قبل التخدير، تجول فيه. اه

اللسان ــ المجول ثوب صغير تجول فيه الجارية. غيره ــ والمجول: ثوب يثنى ويخاط من أحد شقيه، ويجعل له جيب، تجول فيه المرأة، وقيل: المجول للصبية، والدرع للمرأة.

القاموس ــ المجول (كمنبر): ثوب للنساء أو للصغيرة.

تقول هذه النصوص: إن (المجول) ثوب تلبسه الفتاة فى البيت وفى خارج البيت قبل أن تقصر فى الخدر. أو هو ثوب تجول فيه المرأة فى البيت. والمراد أنه درع تلبسه ربة البيت تجول فيه.

وأنا أستحسن قول من قال (المجول للصبية، والدرع للمرأة). فإذا ضممنا هذا القول إلى قول الزمخشرى السابق فى الأساس، جاز أن نطلق كلمة المجول على (الفستان) الذى تلبسه فتيات المدارس مثلا ومن فى أعمارهن.

المعرض

فى القاموس ـ المعرض (كمنبر): ثوب تجلى فيه الجارية.

وفى المصباح ـ المعرض (وزان مقود): ثوب تجلى فيه الجوارى ليلة العرس، وهو أفخر الملابس عندهم، أو من أفخرها.

وقد وضعت إحدى لجان المجمع كلمة المعرض (لفستان العروس) ولكن قواعد المجاز لا تأبى إطلاق هذا اللفظ على كل ثوب فاخر تلبسه المرأة أو الفتاة فى المنزل عند الزيارات مثلا، وفى المجتمعات الخاصة والعامة، وهو ما يطلق عليه اسم (الفستان).

الجلباب

كثيرا ما نسمع من الشبان والفتيات الأنيقات كلمة فرنسية هي (Robe be Chambre) يعنون بها ذلك الثوب الذى تجلل به الثياب فى المنزل ؛ وعندنا فى العربية مرادف عربى فصيح لهذا اللفظ الفرنسى ، وهو (الجلباب) فاسمع إلى ما يقوله اللغويون فى معناه :

المخصص — عن صاحب العين - الجلباب : ثوب أوسع من الخمار دون الرداء ، تغطى به المرأة ظهرها وصدرها . اه .

اللسان — وقيل هو ثوب واسع دون الملحفة (الملاءة) تلبسه المرأة ، وقيل هو الملحفة . وقيل هو ما تغطى به المرأة الثياب من فوق كالملحفة . اه

القاموس — الجلباب (كسرداب وسنمار) : القميص ، أو ثوب واسع للمرأة دون الملحفة تغطى به ثيابها من فوق كالملحفة . أو هو الخمار .

وتتلخص أقوال اللغويين فى تفسير الجلباب فى أنه يطلق على الخمار والقميص ، والملحفة ، وثوب واسع للمرأة دون الملحفة تغطى به ثيابها من فوق كالملحفة .

وهذا المعنى الأخير هو الذى يناسب ما نريده من هذا البحث ، فهو منطبق على معنى (Robe de Chambre) ، فهل يتاح لهذا اللفظ الواحد الخفيف أن يتداول على ألسنة الخاصة والمثقفين من شباننا وشوابنا ، ليدلوا على حب لغتهم وغناها ؟

بقى أن النصوص السابقة تفيد أن الجلباب من ملابس النساء ، فهل يجوز إطلاقه على ما يلبس الرجل من هذا النوع ؟

وجوابنا عن هذا أن علاقة الإطلاق والتقييد فى المجاز تساعد على تعميم اللفظ فيما يلبسه النساء والرجال ، ولا ضير ؟

« للبحث بقية » مصطفى السقا

السنة الثانية (ربيع الأول سنة ١٣٥٤ — يونية سنة ١٩٣٥) الجزء الأول



مجلة الأدب واللغة والتربية والاجتماع

كل ثلاثة أشهر

قررت وزارة المعارف ومجالس المديريات «صحيفة دار العلوم» في جميع مدارسها

المدير
ابو الفتح الفقى

رئيس التحرير
محمد على مصطفى

ملابسنا فى كتب اللغة (1)

— ٣ —

بقلم الأستاذ مصطفى السقا
المحرر بمجمع اللغة العربية الملكى

الدُّراعة : Chemisette المِدْرَعة : Jacquette المِدْرَع : Paletot

المخصص : الدراعة والمِدْرَع : ضرب من الثياب ، وهى جبة مشقوقة المقدم . والمِدْرَعة : ضرب آخر ، ولا يكون إلا من الصوف خاصة . وقد تدرعت مدرعتى .

اللسان : الدراعة والمدرع : ضرب من الثياب التى تلبس ، وقيل جبة مشقوقة المقدم والمدرعة ضرب آخر ، ولا تكون إلا من الصوف خاصة . وتدرع مدرعة وادّرعها وتمدرعها .

التاج : والمِدرعة (كمكنسة) : ثوب كالدُّراعة ، ولا يكون إلا من صوف خاصة . قاله الليث . وقيل الدراعة : جبة مشقوقة المقدم . وأنشد أبو ليلى لبعض الأعراب :

يوما لخلاق (2) ويوما للبال مشمراً يوما ويوما ذيّال
مدرعة يوما ويوما سربال

ومنه حديث أبى الدرداء رضى الله عنه : فتوضأته وعليه مدرعة ضيقة الكم ، فأخرج يده من تحت المدرعة ، فتوضأ .

هذه ألفاظ ثلاثة مشتقة من مادة واحدة ، وقد نصوا فى المعاجم أنها مختلفة فى الصفة أو فى الصنعة ، ولكنا نظن أن الاختلاف بينها فى الصفة لا يعدو أن يكون

---

(1) راجع المقال الأول فى صحيفة دار العلوم ، العدد الرابع ، السنة الأولى الصفحات ٩٧–١٠٨ (2) وفى رواية : لخلاق .

كالاختلاف في الصنعة ، فهي تدل على ضروب من الملابس قريب بعضها من بعض في الشبه ، ولما كانت المعاجم لم تشرح هذه الألفاظ الشرح الذي يحدد معناها بالدقة ، رأينا أن نلجأ إلى الاستنباط في تعرف حقيقتها . وأول ما ننبه عليه أن المخصص واللسان قالا إن الدراعة والمدرع شيء واحد ، وأن المدرعة ضرب آخر ، أما شارح القاموس فقد تبع صاحب القاموس ، فأهمل المدرع جملة ، وأحل محله المدرعة : وجعلها مساوية للدراعة ، ولا ندري أمن قبيل الغلط ذلك أم نقل صحيح انفرد به ؟ فإذا حملناه على الصحة خرجنا من البحث بأن الألفاظ الثلاثة متساوية المدلول ، ولم نعبأ بقول المخصص واللسان إن المدرعة ضرب آخر غير الدراعة والمدرع . وعندنا بعد ذلك قولهم في المدرعة (وقيل جبة مشقوقة المقدم) فهذا الوصف يقرب لنا معنى الكلمات الثلاث كثيراً ، ويضعها في دائرة خاصة ، بعد أن كانت ضربا من الثياب غير معلوم الصفة ولا الهيئة ، فالجلباب من الملابس المعروفة الباقية إلى عصرنا هذا . وهي من الملاحف التي تلبس فوق سائر الملابس . وقولهم (ولا تكون إلا من الصوف خاصة) صفة أخرى تساعد على اعتبار المدرعة وما ساواها من ألفاظ من الملابس الخارجية (الملاحف) التي تلبس للزينة أو لاتقاء البرد .

وغايتنا من هذا البحث أن ننتفع بهذه الألفاظ الثلاثة العربية العذبة ، فنطلقها على ما شابه لها من أزيائنا التي استعرناها من الزي الأفرنجي ، فنطلق الدراعة على ما يسمى (الشميزيت) وهو ملحف للنساء إلى نصف الجسم ، لكنا لا نعني به المتخذ من الصوف خاصة ، وإنما نطلقه على ما يتخذ من الصوف وغيره كالحرير ونحوه .

ونطلق المدرع على ما يسمى (البالطو) وهو أطول من الدراعة وقد يصل إلى الركب أو أسفل منها ، ولا نقصره على زي النساء ، وإنما يسمى به ما يلبسه الرجال من هذا النوع .

ونطلق المدرعة على (الجاكتة) وهي جبة مشقوقة المقدم من الصوف غالبا إلى نحو نصف الجسم أو تحته بقليل ، وهي من ملابس الرجال دون النساء .

وقد يشفع لهذا النحو من التخصيص الذي توخيناه في الألفاظ الثلاثة ما نجده من شبه قوي بين مدلولات (الشميزت والبالطو والجاكت) والدرع الزردية ، فإن الألفاظ الثلاثة كأنها الدرع للابسها تقيه من آثار الأجواء كما تقي الدرع صاحبها من سهام الأعداء . هذا إلى ما بينها من شبه في الصورة والهيئة . فإن من الدرع ما هو سابغ يغطي الجسم كله وذلك يشبه (البالطو) ومنها ما يكون قصيراً يقي البدن دون سائر الجسم ، وهذا يشبه (الشميزت والجاكتة) .

وقد ذكر صاحب السعادة المرحوم أحمد تيمور باشا (الجاكتة) في معجم العامية المصرية ، وقال إن المجمع العلمي العربي بدمشق وضع لها كلمة (الرداء) واستحسن هذا الوضع . ثم ذكر لفظين آخرين يرادفان الجاكتة ، وهما الجُمَّازة والصفية ، وبعد ما أورد الشواهد الشعرية قال : تدل أبيات الجزار على أن نصفيته كانت من نسيج أبيض تغسل وتدق وتسقى بالنشا .

ثم قال : واللفظ صحيح وإن كان مولد الوضع ، وعدم وضوح المراد منه وضوحا شافيا غير مانع من إطلاقه على (الجاكتة) إذا أردناه ، أو إطلاقه على (القميص الإفرنجي) لأنه يستر النصف ، ويغسل ويسقى بالنشا ويكوى كنصفية الجزار ، فنستغني بكلمة عن كلمتين . اهـ

أقول إن التواضع والاصطلاح لا مشاحة فيهما ، ولكننا نضع كل الألفاظ الصالحة بين يدي الجمهور ، ليتخير منها ما يخف على السمع ، وما يعذب في النطق .

السِّرْبال : (القميص الإفرنجي) Shirt

المعروف : السربال القميص من أي جنس كان .

النهاية : في حديث عثمان : « لا أخلع سربالا سربلنيه الله » . السربال : القميص وكنى به عن الخلافة ، ويجمع على سرابيل . ومنه الحديث : النوائح عليهن سرابيل من قطران . وقد تطلق السرابيل على الدروع . ومنه قصيدة كعب ابن زهير :

شم العرانين أبطال لبوسهم ... من نسج داود في الهيجا سرابيل

المصباح : السربال : ما يلبس من قميص أو درع ، والجمع سرابيل ، وسربلته السربال (فتسربله) بمعنى : ألبسته إياه فلبسه .

اللسان : السربال : القميص والدرع ، وقيل : كل ما لبس فهو سربال .

يفهم من هذه النصوص أن السربال يطلق على درع الحرب ، وعلى القميص من أي نوع كان ، وعلى كل ما يلبس . والمعنى الثاني أظهر من الثالث لأنه يضع السربال في قسم القُمُص ، أما المعنى الثالث فلا يجعله محدود المعنى ، ولا ظاهر المدلول .

ويمكن أن نعتبر السربال نوعا خاصا من القمصان ، هو ما نسميه : (القميص الإفرنجي) وإن كان في الأصل صالحا لكل قميص . لأن شيوع اللفظ وعمومه يجعله غير صالح لناحية ما . ولذلك لا يستعمل الأدباء والكتاب كلمة سربال وجمعها سرابيل مع خفتهما وعذوبتهما : لأن السربال بحسب ما ورد في المعاجم لا يدل على شيء معين من ملابس الناس ، ونخشى إذا ظل هذا اللفظ على عمومه أن يطول أمد هجرانه ، فلا يرد على الأقلام والألسنة في غير القرآن والشعر القديم .

أما إذا خصصناه بما يسمى الآن (القميص الإفرنجي) فقد ضمنا له حياة طويلة قوية : لأنه سيذكر كل يوم مئات المرات على ألسنة الناس وأقلامهم .

وقد يقول معترض إن هنالك إبعادا في تسمية القميص الإفرنجي سربالا فإن هذا القميص ملبس حديث لم يعرفه العرب ، فحري ألا يكون له اسم في لغتهم ، ونحن مع تسليمنا بهذا نرى أن كثيرا من الألفاظ كان لها دلالات خاصة عند الوضع الأول ، ثم نقلت في عصور التاريخ من معنى إلى معنى على حسب الحاجة ، وباب المجاز باب قياسي مفتوح ما بقيت العربية ، وبحسبنا أن السربال هو القميص في جميع معاجم اللغة ، فإذا نقلناه من القميص العام إلى قميص خاص ، لم يكن في ذلك تكلف ولا إبعاد .

وفائدة ذلك أننا نستغني بكلمة واحدة عن كلمتين ، ليتيسر تداول اللفظ في فصيح الكلام .

الطّوق – (الياقة = Col)

مختار الصحاح : الطوق : واحد الأطواق ، وطوّقته فتطوق : أى ألبسه الطوق . والمطوقة : الحمامة التي في عنقها طوق .

المصباح : وطوق كل شيء : ما استدار به ، ومنه قيل للحمامة ذات طوق .

اللسان : الطوق : حلى يجعل في العنق ، وكل شيء استدار فهو طوق وقد طوقه فتطوق أى ألبسه الطوق فلبسه ؛ وقيل : الطوق ما استدار بالشيء ، والجمع أطواق والمطوقة : الحمامة التي في عنقها طوق .

مفردات الراغب : أصل الطوق : ما يجعل في العنق خلقة كطوق الحمام ، أو صنعة كطوق الذهب والفضة ، ويتوسع فيه ، فيقال طوقته كذا كقولك قلدته .

أقول : هذه النصوص تدل على أن الطوق شيء مستدير حول شيء ، وبعضها يدل على أن الطوق شيء يلبس حول العنق ، ومنه المثل : (شب عمرو عن الطوق) (١) ويقال للحمامة مطوقة وذات طوق . ونحن نستحسن أن نطلق كلمة الطوق على ما نسميه في هذا العصر (الياقة) وقد يسمى بلسان الفرنجة (Col)

وقد سبق بعض الأدباء إلى تسمية (ياقة القميص) بالزيق : استنادا إلى نصوص المعاجم . قال في اللسان . « وزيق القميص : ما أحاط بالعنق » .

ولا مانع أن تطلق كلمة الزيق في هذا العصر على (الياقة) المخيطة في القميص تكون عرض الإصبع تقريبا . أما (ياقة) القميص الافرنجى ، و (ياقة) الملابس الخارجية من نحو الدرع والمدرعه فخير كلمة لها في ظننا هي (الطوق) .

الأربة = المعنقه : Cravate

اللسان : الأربة العقدة التي لا تنحل حتى تحل حلا . وقال ثعلب : الأربة العقدة ولم يخص بها التي لا تنحل .

(١) هو عمرو بن عدى ، وهذا المثل مشروح في تاج العروس فارجع إليه .

والأربة : قلادة الكلب التي يقاد بها ، وكذلك الدابة .

الرئاسي : وتأربت العقدة : توثقت ، وأربتها : وثقتها .

القاموس : الأربة (بالضم) : العقدة ، أو التي لاتنحل حتى تحل ، والقلادة .

القاموس : والمعنقة (كمكنسة) : القلادة .

اللسان : والمعنقة : قلادة توضع في عنق الكلب . وقد أعنقه : قلده إياها .

وفي التهذيب : والمعنقة : القلادة ولم يخصص .

هاتان الكلمتان العربيتان (الأربة والمعنقة) ظاهرتا المدلول ، وهما صالحتان للتعبير عما يسمى بلسان الفرنجة (Cravate) بطريق التشبيه لأن (الكرافات) من بعض الوجوه هو عقدة لاتنحل حتى تحل ، أو هو كالقلادة وكذلك المعنقة قيل في شرحها إنها القلادة مطلقا . وقد سبق بعض الأدباء إلى وضع كلمة (الأربة) لهذا الذي يربط حول الرقبة في الزي الأوربي ، ونحن لا نرى بذلك بأساً ، ونضيف إلى ذلك كلمة (المعنقة) التي عثرنا عليها في قراءتنا الخاصة في كتب اللغة . واللفظتان تكادان تتساويان في نظرنا ، لأن لكل منهما فعلا من مادتها ، كما أن لكل صيغة جمع قياسية ، فيسهل استعمالها وتصريفها في أساليب الكلام ، فنطلقها في الاستعمال ، والزمان وحده كفيل ببقاء الأصلح للبقاء .

المبذل = المبذلة : (Pyjama)

فقه اللغة : والمبذلة : ثوب يبتذله الرجل في منزله .

الرئاسي : وخرج علينا في مباذله وفي ثياب بذلته . والرجل يتبذل في منزله .

اللسان : قال ابن بري : أنكر علي بن حمزة مبذلة ، وقال مبذل بغير هاء ، وحكى غيره عن أبي زيد مبذلة . وقد قيل أيضاً ميدعة ومعوزة عن أبي زيد : لواحدة المواديع والمعاوز ، وهي الثياب والخلقان ، وكذلك المبذل ، وهي الثياب

في يتبذل في اللباس . ومِبذَل الرجل ومِيدَعه ومعوزه : الثوب الذي يبتذله ويلبسه .

أقول : المبذل (على رأي علي بن حمزة) والمبذلة (على رأي أبي زيد) تصلح لما نسميه اليوم (بيجاما) لأنها ثوب يلبسه الرجل ويبتذله في منزله ، وهي من ملابس المترفين ولكن اللفظ صادق أيضاً (بالجلبية) التي لا يزال يلبسها أبناء البلد الذين لم يعنوا في التشبه بأهل التمدين الحديث ، فإذا قصرناها على (البيجاما) ذات الشكل الخاص ، وهي مؤلفة من مدرعة وسراويل ، كان ذلك من قبيل تخصيص العام ببعض ما يصدق عليه ، وهو مجاز مقبول .

وقد أطلق بعض [1] الكتاب المعاصرين على (البيجاما) كلمة منامة ، ولكننا نرى أن المنامة ليست من الثياب التي تلبس ، وإنما هي من الأغطية التي يتدثر بها في النوم . قال الثعالبي في فقه اللغة : المنامة والقرطف والقطيفة : ما يتدثر به من ثياب النوم .

وفي لسان العرب : والمنامة : ثوب ينام فيه ، وهو القطيفة . قال الكميت :

عليه المنامة ذات الفضول من القهز [2] والقرطف [3] المخمل

وقال آخر :

« لكل منامة هدب أصير »

أي متقارب .

فقد وصف المنامة بأنها ذات فضول وخمل متقارب ، وأحر بأن يكون المراد بالمنامة ما نسميه (البطانية) .

---

(1) هو صاحب العزة محمد كرد علي بك عضو مجمع اللغة العربية الملكي . وقد نشر جريدة ألفاظ في الصحف العربية ، ومنها المنامة (البيجاما) .

(2) في اللسان : القهز والقهز والقهزي ضرب من الثياب تتخذ من صوف كالمرعزى .

(3) وفي اللسان : القرطف : القطيفة المخملة . الأزهري في ترجمة قطف : القراطف (...) مخملة . وفي حديث النخعي في قوله : (يا أيها المدثر) أنه كان متدثرا في قرطف . القطيفة التي لها خمل .

الجُبَّة = البدن = Jersey

المخصص : الجبازة : دراعة قصيرة من صوف .

النهاية : وفي الحديث أنه توضأ فضاق عن يديه كمَّا جمازة كانت عليه .
الجمازة : مدرعة صوف ضيقة الكمين .

التاج : الجمازة (بالضم) دراعة من صوف . وبه فسر الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ فضاق عن يديه كما جمازة كانت عليه ، فأخرج يديه من تحتهما .

اللسان . البدن : شبه درع إلا أنه قصير قدر ما يكون على الجسد فقط ، قصير الكمين . ابن سيده : البدن : الدرع القصيرة على قدر الجسد ، وقيل هي الدرع عامة . والجمع أبدان . وفي حديث مسح الخفين : فأخرج يده من تحت بدنه : استعار البدن هنا للجبة الصغيرة تشبيها بالدرع . ويحتمل أن يريد من أسفل بدن الجبة ، ويشهد له ما جاء في الرواية الأخرى ، فأخرج يده من تحت البدن .

هذه النصوص في مجموعها تدل على أن كلا من الجمازة والبدن ثوب قصير يغطي نصف الجسم ، كما تدل على أنه يكون من الصوف .

أما وجه الخلاف بينهما فأن الجمازة ضيقة الكمين ، والبدن قصير الكمين ، ومن هذه الصفات نستطيع أن نطلق الجمازة على ذلك القميص الصوفي الذي يكون مشقوق المقدم أحيانا وغير مشقوق أحيانا ، ويكون له كمان ضيقان ، وهو ما يسمى في الانكليزية (Jersey) .

أما البدن فنطلقه على نوع آخر منه يكون بلا كمين .

وقد آثرنا أن نخصص كل نوع باسم لوجود لفظين في اللغة العربية يؤديان هذين المعنيين . ولأن تخصيص كل نوع باسم من المطالب التي تدب إليها مجمع اللغة العربية الملكي لتقليل الاشتراك في الألفاظ : لأن الاشتراك من أسباب الغموض في كثير الأحيان .

الأُصْدَة = الأَصِيدَة = المُؤَصَّد :

Robette

اللسان : ابن سيده — الأصدة والأصيدة والمؤصد : صدار تلبسه الجارية، فإذا أدركت درعت . وأنشد ابن الأعرابي لكثير :

وقد دَرَّعوها وهي ذات مُؤَصَّد مجوب ولما تلبس الدِّرع ريدها

وقيل : الأصدة ثوب لا كمي له تلبسه العروس والجارية الصغيرة .

تاج العروس : الأصدة (بالضم) : قميص صغير للصغيرة ، وهي صدار تلبسه الجارية ، فإذا أدركت دُرِّعت ، أو يلبس تحت الثوب . . . وقال ثعلب : الأصدة : هي الصُّدْرة . وقيل الأصدة : ثوب لا كمي له تلبسه العروس والجارية الصغيرة .

هذا بعض ما ورد في تفسير الأصدة وهي الأصيدة (كقصيدة) والمؤصد كمعظم أيضا . ونحن أميل إلى قبول التفسير الأخير الذي في عبارتي اللسان والتاج ، فيجوز أن نطلق أحد هذه الألفاظ الثلاثة على الثوب القصير الذي لا كمي له تلبسه الصبيات ، وهو ما يسمى في بعض اللغات الإفرنجية (Robette) وهو تصغير الكلمة (Robe) التي وضعنا لها في المقال السابق كلمة دِرْع ، وعلى ذلك يكون معنى قول كثير المذكور آنفا :

وقد درعوها . . . الخ أي إنهم ألبسوها الدرع وهو الثوب الذي تلبسه النساء (الجلية) مع أنها لا تزال صغيرة لم يلبس تِرْبها الدِّرع .

ولا يقدح في هذا التخريج قولهم : (تلبسه العروس) فإن العروس إذ تكون في الجلوة أن تكشف عن محاسنها ، وتبدي زينتها لعروسها ، فلا تجعل لثوبها كمين ، ولا تبالغ في تطويل ذيله ، فيكون شأنها شأن الجارية الصغيرة التي تلبس قصير الثياب وما لا كمي له . هذا على اعتبار الأصدة من الملابس الخارجية أما إذا اعتبرت من القمص والملابس الداخلية كما يفهم من قول صاحب التاج : (أو يلبس تحت الثوب) فإن من شأن هذا النوع في الغالب القصر وعدم الأكمام .

البَقير = البَقيرة (الحَرْملة) = Pelerine

اللسان : والبقير والبقيرة : بُرْدٌ يُشق فيلبس بلا كُمين ولا جيب . وقيل هو الإتب . الأصمعي : البقيرة أن يؤخذ برد فيشق ثم تلقيه المرأة في عنقها من غير جيب ولا كُمين . والإتب : قميص لا كُمين له تلبسه النساء .

أقول : تدل مادة البقر في كتب اللغة على الشق ، والبقير والبقيرة : بُرْد مشقوق ، فهما فعيل بمعنى مفعول ، والبرد كما قال ابن سيده : ثوب فيه خطوط ، والبردة : كساء يلتحف به . وقيل إذا جعل الصوف شقة ولها هدب فهي بُرْدة ، وجمعها بُرَد ، وهي الشملة المخططة .

وقول الأصمعي : أن يؤخذ برد الخ كالصريح في أن المقصود بالبقيرة ما نسميه في هذا العصر بلسان العامة (الحرملة) ، ويقابله في بعض لغات الافرنج كلمة (Pelerine) .

أما قولهم إن البرد ثوب فيه خطوط ، فيحمل على أن الأصل فيه ذلك توسعاً ، وعلى هذا لا يمتنع أن تكون البقيرة ذات لون واحد أسود أو غيره .

التُّبَّان = (لباس البحر) Culotte de Mer

الزجاج : التُّبّان سراويل صغير يستر العورة المغلظة فقط ، ويكثر لبسه الملاحون وأراد به هينا السراويل الصغير ، ومنه حديث عمار أنه صلى في تبان .

القاموس : التُّبان (كرمان) سراويل صغير يستر العورة المغلظة ، والتبن كافتعل : لبسه .

الأساس : ورأيت تبّانا يلبس تبّانا ، وهي سراويل صغيرة ، وتبنته : ألبسته إياه .

اللسان : والتُّبان (بالضم والتشديد) : سراويل صغير مقدار شبر يستر العورة المغلظة فقط ، يكون للملاحين . . . وقيل ـــ التبان : شبه السراويل الصغير

وفى حديث عمر : صلى رجل فى تُبّان وقميص ، تذكره العرب ، والجمع تَبَابين .

المصباح : التبان : فُعّال : شبه السراويل وجمعه تبابين . والعرب تذكره وتؤنثه . قاله فى التهذيب .

يؤخذ من هذه النصوص أن إطلاق التبان على مانسميه الآن (لباس البحر) سائغ لا اعتراض عليه . فقد أجمعت نصوص الكتب على أنه سراويل بلا ساقين يستر العورة وحدها ، وزاد بعض الكتب أنه يكون للملاحين ، وفى النهاية (يكثر لبسه الملاحون) أى فلا مانع أن يلبسه غيرهم . ونسبة لبسه للملاحين قرينة على ان يلبس فى البحر ، وهذا ما أردناه من تخصيصه (بلباس البحر) وإن كان اللفظ فى الأصل عاما .

الدُّقرار = الدقرارة = الدُّقرور = الدُّقرورة = Culotte

النهاية : وفى حديث عبد خير قال : رأيت على عمار دقرارة وقال إنى ممثون .

الدقرارة : التبان ، وهو السراويل الصغير الذى يستر العورة وحدها . والممثون الذى يشتكى مثانته .

المخصص : أبو عبيد : الدقرار : التبان ، ابن دريد : وهو الدقرور .

التاج : والدقرارة : التبان ، كالدقرار بغير هاء ، وهى سراويل صغير بلا ساق يستر العورة وحدها . . . . والدقرارة يطلق ويراد به السراويل أيضا . كالدقرور والدقرورة بضمهما . . . . والجمع : الدقارير .

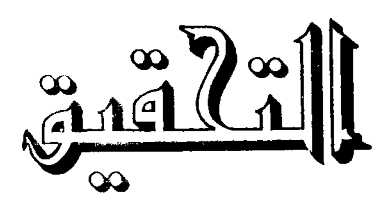
خلاصة هذه النصوص أن الألفاظ الأربعة تطلق على شيئين : التبان ، وهو الذى خصصناه (بلباس البحر) ، والسراويل مطلقا . والذى نريده هنا أن نخصص هذه الألفاظ بالسراويل القصيرة التى لا ساق لها يلبسها النساء غالبا ، وقد يلبسها الرجال ، وهى غير التبان الذى يلبس عادة عند التجرد على شواطىء البحار . ويسمى هذا فى بعض اللغات الأوربية (Culotte) .

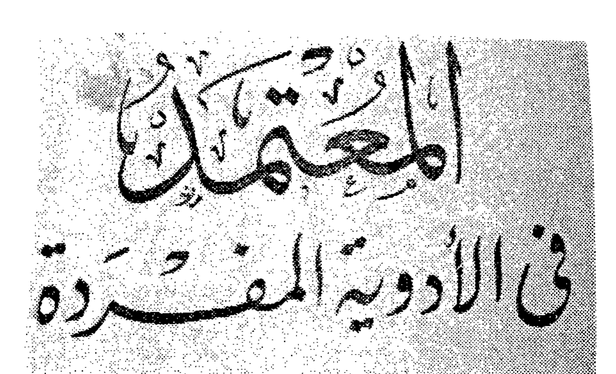
مصطفى السقا






ثانياً

من مقدمات

التحقيق



تأليف

الملك المظفر يوسف بن عمر بن على بن رسول
الغسانى التركمانى صاحب اليمن
المتوفى سنة ٦٩٤ هـ

صححه وفهرسه

مصطفى السقا
الأستاذ بجامعة الملك سعود بالرياض (سابقا)

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر
محمد محمود الحلبى وشركاه - خلفاء

هذه الطبعة الثانية من كتاب « المُعْتَمَد » فى الأدوية المفردة » تُذيعها بين رُوَّاد النفائس القديمة شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بالقاهرة ، وصدرت الطبعة الأولى منه سنة ١٣٢٧ هجرية عن شركة آل الحلبى أنفسهم ، التى عُرِفت بدار الكتب العربية الكبرى ، وعن مطبعتهم التى وُسِمَت بالمطبعة الميمنية .

وكتاب « المعتمد » هذا من أحسن الكتب ، وأجمعها لمفردات الطبّ ، يعرف قيمته من قرأ مقدمة مؤلفه الملك العالم يوسف بن عمر بن علىّ بن رسول فقد اختصره من أهمّ الكتب الجامعة للمادّة الطبية ، وحسبنا أن يكون من أعظم أصوله كتابان خصهما كثير من المؤلفين فى مادّة الطبّ ، بأعظم الثناء ، لغزارة مادتهما ، وعموم النفع بهما ، وحسن ترتيبهما :

أولهما كتاب « منهاج البيان ، فيما يستعمله الإنسان » لشيخ من أجلّ شيوخ الصناعة الطبية ، وهو أبو على يحيى بن جزْلة الطبيب البغدادى ، المتوفى على ماحكاه ابن خلكان سنة ٤٩٣ هجرية . وهو يمثل ما وصلت إليه الثقافة الطبية ، لتجربة الأدوية : مفردة ومركبة ، فى القرن الخامس ببلاد المشرق . وترتيبه على الحروف المعجمية كترتيب « المعتمد » .

وثانيهما كتاب « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية » ، لعبد الله بن أحمد الأندلسى المالقى العشَّاب ، المعروف بابن البيطار ، المتوفى سنة ٦٤٦ هـ — ١٠٤٨ م . ولهذا الكتاب مزايا جليلة تجعله فوق جميع الكتب المؤلفة فى هذا الموضوع .

(١) فمنها : أنه أغزر كتب المفردات مادّة ، لأنه جمع المعروف منها منذ أقدم عصور التأليف فيها عند اليونانيين ، إلى أن تداولها العرب فى العصر العباسى ترجمة ، ثم تجربة ، ثم تحقيقا وتأليفا ، فنقرأ فيه ما كتبه اليونانيون منذ عهد معلمهم الأول ديسقوريدس العين زربى الشامى اليونانى ، إلى جانب ما كتبه بعده جالينوس الطبيب اليونانى المشهور . وهذان الفاضلان هما أشهر

من تفجرت منهم ينابيع المعرفة فى كتب فى المادة الطبية من اليونانيين وغيرهم، وعنهما أخذ أطباء العرب والنصارى واليهود والسريان والمسلمين. ثم عمد فى مؤلف ابن البيطار إلى كل ذلك تجارب الهنود والمصريين القدماء. فوق ما أضافه وحققه أطباء الإسلام، كالرازى وابن سينا من المشارقة، وكابن جلجل وابن وافد والغافقى من الأندلسيين. وبهذا كان كتاب ابن البيطار جامعا لما لم يجتمع فى غيره من أصول المادة الطبية فى تأليف المشارقة.

(٢) ومنها: أنه جامع بين الترجمة والتحقيق العلمى. فكثيراً ما يتعقب المترجمين لكتاب ديسقوريدس فى تسمية النباتات وأوصافها، ويصحح أخطاءهم فى وصفها واستعمالها، ومقادير ما يؤخذ منها فى العلاج، وما يبدل منها إذا عدمت. فقد أعانه منهجه التجريبى على ألا يسلم بأقوال السابقين من المترجمين حتى يرى النباتات فى مواطنها، ويتحقق من أعيانها، وصفاتها، وتجربتها، مقتديا فى ذلك بإمام هذه الصناعة الأعظم، ومشرعها الأول «ديسقوريدس». ولذلك رحل ابن البيطار رحلة علمية موفقة، استوعبت بلاد الأغارقة والروم، ورأى النباتات بعينه كما تتبعها أستاذه الأول فى مواطنها ورآها، فوصفها ورسمها فى كتابه «الحشائش» وبين طبائعها وقواها. وكان لسعة معارف ابن البيطار، وتحققه من نباتات الأندلس، على كثرة صروبها وأنواعها واختلاف طبائعها، وما عاينه من النباتات فى بلاد الأغارقة والروم والشام ومصر، أكبر الأثر فى تلك المآخذ والاستدراكات الكثيرة المبثوثة فى مصنفه الجامع، استدركها على المترجمين أولا، ثم على من بعدهم من المؤلفين آخراً، ولم يسلم من نقده المغاربة ولا المشارقة، حتى ديسقوريدس نفسه.

(٣) ومن مزاياه أيضا: جمعه بين فروع المادة الطبية: الحيوان والنبات والجماد؛ على حين أن أكثر المؤلفين قبله خصوا بالتأليف كل نوع منها، وقل من جمعها فى كتاب كابن جزلة فى منهاج البيان.

(٤) ويمتاز كتاب ابن البيطار آخر الأمر بالترتيب السهل على حروف ا. ب. ت. ث... الخ بحسب الحرف الأول من الكلمة، كترتيب المعاجم اللغوية الحديثة، ويشاركه فيه ابن جزلة فى المنهاج؛ وهذا الترتيب أيسر على

[illegible] ترتيب المواد حسب حروف أبجد هوز [illegible] كما في
[illegible] أو حسب أنواع الأمراض وحاجتها إلى أنواع العلاج
[illegible] وصفها وصفا دقيقا [illegible] وذلك في كتاب [illegible]
[illegible] القديمة ، فقد اختصره مؤلفه من الكتب التي أفادوا منها
[illegible] واستنبط كتاب الجامع لابن البيطار مستوعبا لأكثر ما فيه
[illegible] من فوائد العلاج ، ولا يختلف عنه إلا في ترتيب الأبواب
[illegible] فقد كان من أصحاب أصح الأقوال فيما [illegible]
[illegible] المستعملة [illegible] إلا الباحث الذي يعنى بتطور
[illegible]

[illegible] مختصر من جامع ابن البيطار [illegible]
[illegible] في العلاج ، من مزاج النبات ، ومن أبحاث الرازي وابن
[illegible] ، مما جرى عليه العمل والتجربة عند حذاق الأطباء ،
[illegible] من أقوال [illegible] المعتمد ، الجمع بين [illegible] النظرية ،
[illegible] العملية ، فكان من أحسن المساعد الجامعة بين العلم والعمل
في العلاج والتدبير .

[illegible] وفعل ترتيب أسماء الكتب [illegible] ابن جزلة ، وجامع
ابن البيطار ، [illegible] بالمعاجم الحديثة الترتيب .

[illegible] في ذلك [illegible] الترتيب ، أو بعض [illegible] أسماء
[illegible] ، وتقسيمها [illegible] يصطلح عليه أهل [illegible] ، وهو [illegible]
[illegible] من وجهتي البحث النظري والعمل جميعا .

نسختا المعتمد

[illegible] النسخة الأولى من « المعتمد » سنة [illegible] ، ولا نعلم شيئا عن
[illegible] ، وأكبر الظن أنه أصل منسوخ من بعض
[illegible] الكتب [illegible] ، ومن الصفحات [illegible]
[illegible] ، لكنها متشابهة [illegible] المطبوعة الأولى [illegible] في جميع
[illegible] ولا تكاد تختلف عنها إلا في بعض ألفاظ [illegible]
[illegible] ، وإلا في وضع فهرس [illegible] أسماء المفردات [illegible]
[illegible] في آخر الكتاب ، [illegible]

وتشترك النسختان مع المطبوعة الأولى في كثير من الخطأ الذي وقع بأيدى الناسخين، كما تشتركان في مواضع الخرم التي نبه عليها في ذيل صفحات المطبوعتين الأولى والثانية.

وقد عارضت الطبعة الأخيرة من المعتمد على هاتين النسختين، وأصلحت كثيرا من مواضع الخلل التي تبينت لى، مستعينا على ذلك بالجامع لابن البيطار، والمنهاج لابن جزلة، وغيرهما من مراجع المادة، كالقانون لابن سينا، ونهاية الأرب للنويرى (١١، ١٢)، وتذكرة أولى الألباب للشيخ داود الأنطاكى، ومعاجم اللغة كالمخصص لابن سيده، والقاموس المحيط للفيروزابادى، وتاج العروس للزبيدى، ومعجم أسماء النبات للمرحوم الدكتور أحمد عيسى بك.

وعُنيت في هذه الطبعة بضبط ما يشتبه أو يغمض من الكلمات في تراجم المواد، وفي أثناء الشروح، لكثرة الألفاظ اليونانية واللاتينية والأسبانية والبربرية، بَلْهَ السُّريانية والعِبْرية، والفارسية والهندية، في أسماء المواد الطبية، مما هو غريب على أهل العربية.

وقد عملت للكتاب فهرسا عاماً يحوى جميع موادّ الكتاب، مرتبة ترتيبا حرفيا، على حسب ما رتبها المؤلف، ولم يعمل مثله في الطبعة الأولى.

أما الملحق الخاص باصطلاح أهل اليمن في تسمية بعض المفردات الطبية، فقد وقع فيه كثير من التخليط والخلل، فنُقلت فيه كلمات من مواضعها في حروفها إلى مواضع أخرى في غير حروفها، وكرر شرح بعض الألفاظ في أكثر من موضع، وبصور مختلفة، ذلك إلى ما شاع فيها من التصحيف والتحريف والخطأ الذي خرج بأكثرها عن صورها الأصلية إلى صور مشوهة تنكرها المعاجم والمراجع المختلفة، وقد تيسر لى ردّ أكثرها إلى أصله، وضبطه ضبطا دقيقا، ووضعه في مكانه الطبيعى من الترتيب الحرفى المُعْجمى، أما مالم أهتد إلى معرفته، فقد أبقيته على صورته في المطبوعة الأولى والمخطوطتين رجاء العثور في المستقبل على نسخ مخطوطة أقدم وأصحّ من التي عثرنا عليها. ولست أشك في أن هذا الفهرس، إن صحت نسبته إلى مؤلف الكتاب، فقد عبثت به أيدى النساخ من بعده عبثاً كثيرا، نكّر معارفه، وغيّر معالمه

مؤلف المعتمد وأسرته : بنو رسول

مؤلف الأفضل : يوسف بن عمر بن علي بن رسول الغساني التركماني [illegible] الدولة الرسولية ، التي حكمت اليمن من سنة ٦٢٦ إلى سنة ٨٠٣ هـ .

[illegible] هذه الأسرة ، على ما فصله الخزرجي الزبيدي في كتابه العقود [illegible] تاريخ الدولة الرسولية ، إلى الغسانيين من بني جفنة ، الذين حكموا [illegible] قبل الإسلام عند خراب السد ، وسكنوا الشام ، وملكوا عليها [illegible] ملوك الروم ، وكان آخرهم جبلة بن الأيهم ، وقصة إسلامه في خلافة [illegible] بن الخطاب قصة مشهورة ، وقد لحق بالشام ثم ببلاد الروم وهلك فيها .

[illegible] من أبناء جبلة ، فقد بقيت ذريته في الروم مدة ، ثم انتقلوا إلى [illegible] التركمان مع فريق من أقوامهم ، وتكلموا بلغتهم ، وبعدوا عن العرب [illegible] عاداتهم ، وهم مقيمون على أنسابهم ، ثم خرجوا إلى العراق ، [illegible] إلى غسان ، ونسبهم من لا يعرفهم إلى التركمان .

[illegible] منهم في العراق محمد بن هارون بن أبي الفتح بن يوحي بن [illegible] القيس ، فقربه الخليفة المستضيء العباسي ، وأنس به ، [illegible] إلى الشام ، وإلى مصر ، فأطلق عليه لفظ رسول ، وشهر [illegible] الحقيقي حتى جُهل ، فلا يعرفه إلا قليل من الناس .

[illegible] محمد بن هارون من العراق إلى الشام ، ومن الشام إلى مصر فيمن [illegible] أولاده ، وكانوا خمسة رجال ، عرفوا كلهم بالشجاعة في الحرب ، [illegible] وحسن الرأي في السياسة ، كما عرفوا بالطموح وعلو الهمة .

[illegible] الملك لبني أيوب في مصر ، عرفوا لبني رسول أقدارهم ، [illegible] أحلامهم ، وعزموا على أن يسلموا إليهم حكم اليمن ، نيابة [illegible] الهاشمية سنة تسع وستين وخمس مئة ، مع الملك المعظم توران شاه [illegible] وظلوا مقيمين بها على الولاء لبني أيوب والإخلاص في طاعتهم [illegible] حروبهم ، حتى انتشر ذكرهم في اليمن ، وتولوا الولايات

ولما توفى الملك المسعود الأيوبى ، ضبط البلاد بعده السلطان نور الدين عمر بن على بن رسول (وهو والد المؤلف) وأسس الدولة الرسولية ، التى حكمت اليمن من سنة (٦٢٦ – ٨٠٣ هـ).

وقد عاصرت دولة آل رسول دولتى بنى أيوب والمماليك البحرية إلى أول دولة المماليك الشراكسة فى مصر . وتشبهت بأبطال الدولتين فى حب الرعية وبرها ، وإدرار الخيرات لها . ولما كان رجالها رجال حرب ، خاضوا كثيراً من المعارك ، وأطفئوا كثيراً من الفتن ، ورعوا حق الأمة فى النصح والاضطلاع بشئون الدفاع عن بلاد الإسلام ، فكان لهم خيل مرابطة لحماية الثغور فى مصر وغيرها . وابتنى رجالهم ونساؤهم مدارس كثيرة للتعليم . وأحبوا العلم والعلماء وقربوهم وأعانوهم على نصح العامة وإرشادهم إلى أقوم السُّبُل . وثبتوا الأمن فى نصابه . واشتهر كثير منهم بالفصاحة ونظم الشعر ، وتعمق كثير منهم فى فنون العلم ، واشتهروا بتآليف ممتعة .

ولا شك أن واسطة عقد بنى رسول هو الملك المظفر يوسف ، مؤلف هذا الكتاب وكان ملكا شجاعا ، حسن التدبير فى الحروب ، كما كان سياسيا رحب الباع ، ذلك إلى اتصافه بخلال أخرى نفسية وعقلية رفعته مكانا عليا كالفصاحة ، والتبحُّر فى العلوم ، وخاصة الطبّ .

قال الخزرجى (١ : ٢٧٨) : « لما افتتح (الملك المظفر) مدينة ظَفَارِ ، ذكر فى كتابه إلى الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر أنه يحتاج إلى طبيب لمدينة ظَفَارِ ، لأنها وبيئة . وقال : ولا يظن المقام العالى أنّا نريد الطبيب لأنفسنا ، فإنا نعرف بحمد الله من الطبّ ، ما لا يعرفه غيرنا . وقد اشتغلنا فيه من أيام الشبيبة اشتغالا كثيرا . وولدنا عُمر الأشرف من العلماء بالطبّ ، وله كتاب الجامع ، ليس لأحد مثله » .

توفى الملك المظفر على ما قاله الخزرجى سنة ٦٩٤ هـ ، وعمره أربع وسبعون سنة ، قضى فى الملك منها ستا وأربعين سنة .

القاهرة فى { ٢٣ من رمضان ١٣٧٠ هـ
٢٧ من يونيه ١٩٥١ م }

مصطفى السقا
أستاذ بكلية الآداب (جامعة فؤاد الأول)

المعهد الخليفي للأبحاث المغربية
بيت المغرب

معجم ما استعجم

من أسماء البلاد والمواضع

تأليف

الوزير الفقيه : أبي عُبيد ، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي
المتوفى سنة ٤٨٧ هجرية

الجزء الأول

عارضه بمخطوطات القاهرة ، وحققه وضبطه
مصطفى السقا

[illegible] جامعة فؤاد الأول
الطبعة الأولى
[illegible] يوليه سنة ١٩٤٥ م

مقدمة

وصف المعجم ، وبيان قيمته العلمية ، وتاريخه

هذا مُعجَم ما استُعْجِم من أسماء المواضع والبلاد ، لأبي عبيد البكريّ . وهو معجم لُغَويّ جُغرافيّ ، يَصِف جزيرة العرب ، وَيتَقَرَّى ما بها من المعالم والمَشاهد ، والبُلدان والمعاهد ، والآثار والمحافِد ، والمناهل والموارد ؛ ويَتتَبّع هجرة القبائل العربية من أوطانها ، واضطرابها في أعطانها ، وتردّدها بين مصايفها ومَرابعها ، ومباديها ومحاضرها ؛ ويذكر أيامها ووقائعها ، وأنسابها وعشائرها .

وهو أثر نفيس من صميم التراث الأدبي والعلميّ ، مما خلّفه العرب إبّان نُضْجهم العقليّ ، وارتقائهم العِلميّ ، ولا نكاد نجد له نظيراً في معاجم البُلدان ، التي وصلت إلى أيدينا سليمة من أحداث الزمان ، فهو يَبُذّها جميعاً : غزارة موادّ ، وكثرة تفاصيل ، واكتمال عناصر ، ودقة مناهج ، وتمام ضبط ، وجمال أسلوب ، وتحرير عبارة .

سَبق البكريّ إلى التأليف في جغرافية جزيرة العرب ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الهَمْدانيّ اليمنى ، المعروف بابن الحائك ، المتوفى بصنعاء من اليمن سنة ٣٣٤ هجرية ، وكتابه « صفة جزيرة العرب » ، الذى نشره المستشرق مولّر سنة ١٨٨٤ بمطبعة بريل بليدن ، من أنفس كتب الجغرافيا القديمة : اعتمد فيه على مشاهداته الخاصة ، وما عاينه في أثناء رِحلاته في جزيرة العرب ، لا على النقل من الكتب ؛ لكنّه مع هذه المزية الظاهرة ، لا يبلغ مَبلغ معجم البكريّ ، لشدة إيجازه ، وقلة تفاصيله ، إلا فيما يخص جغرافية بلاده ، وهى القسم الجنوبى من جزيرة العرب ، فقد حشد له كل جهوده ؛ ولأنه لم يُرتّب كتابه ترتيب المعاجم ، وإنما رتبه على أبواب وفصول .

على أن البكريّ قد انتفع من كتاب الهَمْدانيّ هذا كثيراً ، فكان من مصادره المُهِمّة ، ينقل عنه ، ويستند إليه ، وخاصة إذا أظلم ليل الشُّبهة وغامت سماء الشكوك .

وممن ألف بعد البكرى مُعجما عامًا في البلدان وذكر جزيرة العرب ، ياقوت بن عبد الله الرومى الحموى . (٥٧٢ ـ ٦٢٦ هـ) صاحب معجم البُلدان ، وهو من أجل هذه المعاجم خطراً ،

وأعظمها قدرا ، ومن أحسنها ضبطا ، وأجملها مادة ، وأعمها فائدة ، إلا أنه مع كل هذه المحاسن لا يوازن بمعجم البكرى فى ضبطه وتحريه ؛ فإن البكرى لغوى دقيق الحس ، كامل الأداة ، من النحو ، والصرف ، واللغة ؛ ريّان من علوم الرواية : الأشعار ، والأخبار ، والأنساب ؛ إلى علوم الدين : الحديث ، والتفسير ، والفقه ، وغيرها من أطراف الثقافة الإسلامية . كما أنه لا يفوقه استيعابا وإحاطة ؛ وهو أمر يبدو غريبا ، ولكنه الحقيقة سافرة : فإن معجم البكرى ليس من المعاجم العامة للبلدان ، وإنما هو معجم لغوى خاص بتحقيق أسماء المواضع التى وردت فى الشعر العربى ، وفى الأحاديث ، وفى كتب السِّيَر ، والتواريخ القديمة ، وأيام العرب ، وما إلى ذلك ؛ فهو فى هذا النوع الخاص ، أكثر جمعا لأسماء المواضع العربية ، من معجم البلدان لياقوت . وكم عثرت عند البكرى ، بل عند الهمدانى ، على أسماء بلدان وأماكن ، لم أجدها عند ياقوت ، لأن معجم ياقوت معجم عام فى الجغرافيا : يصف البلدان المشهورة ، فى أرجاء المعمورة .

أما غير الهمدانى وياقوت من أصحاب كتب الجغرافيا ، فليس ينبغى أن أقف عندهم ، موازنا بين البكرى وبينهم ، فقد ظهر فضله على جميعهم ، بتفوقه على زعمائهم ؛ وكفى بالهمدانى وياقوت علمين ، ومؤلفين رئيسين .

أخص مزايا معجم البكرى كما قلت الضبط : فإنه لهذا الغرض ألف ، وقد أبان هو عن ذلك فى مقدمته ، إذ رأى كثيرا من أسماء البلدان التى ترد فى الأحاديث والأشعار والسير والتواريخ ، قد دب إليها التصحيف والتحريف ، وضرب لذلك أمثلة كثيرة ؛ وكان هذا التحريف داء قديما ، لم يسلم من آفته حتى أئمة الرواة وكبار العلماء ، كالأصمعى من علماء اللغة ، ويزيد بن هارون من المحدثين ، فراعه ذلك ، وأوحى إليه بتأليف كتابه .

والبكرى يضبط الكلمات بالعبارة لا بالحركات ، وهذه إحدى مزاياه ، ولولا ذلك لاختل المعجم ، وضاعت قيمته ، ولم يسلم من شوائب التحريف ، التى ذهبت بكثير من محاسن غيره .

ويعول المؤلف فى الضبط على الشعر العربى أولا ، فيأتى بالشعر الذى ورد فيه اسم المكان ، ويسنده إلى الراوى الثقة من العلماء ، ويوازن بين الروايات ، ويرجح رواية [illegible] على النسخ الموثقة ، التى كتبها العلماء بأيديهم ، أو التى

كتبها ورثّاقوهم المعروفون ، أو تلاميذهم المبرّزون ، وقرءوها عليهم : وقد اجتمع للبكرىّ من الكتب ذوات الخطوط المنسوبة ، والأصول المضبوطة ، شىء كثير ، من كتب أبى على القالى التى دخل بها الأندلس ، ومؤلفاته التى عليها خطه أو سماع تلاميذه : ومن كتب غيره من العلماء ، كالأصمعى ، رواية ابن أخيه عبد الرحمن ، أو أبى حاتم السجستانى : ومن كتب أبى عُبيد ، وابن دُريد ، ونفطويه ، وابن السكّيت ، والسكّونى والهمْدانى ، والأحول والأثرم ، وغير هؤلاء من الأعلام الذين لا يوجد فى أيدينا من كتبهم الآن إلا النزر اليسير.

وكان يعتمد فى الحديث على روايات الكتب الصّحاح ، وخاصة الموطّأ ، والبخارىّ ، وسُنَن أبى داود : وينقل كثيرا من الأحاديث عن ابن وهب وابن القاسم من شيوخ المالكية.

وينقل عن ابن إسحاق صاحب السِّيَرة ، وعن أبى جعفر الطّبَرى ، ويصحح ما وقع فى كتب أولئك وهؤلاء من تحريف فى أعلام البلدان ، ويخرج من المتعة منصورا فى أكثر الأحيان.

ومعجم البكرى قليل الحشو والفضول ، ذلك أنه لم يكن يعنيه أن يذهب مذهب ياقوت ، فى قياس طول البلد وعرضه ودرجة حرارته ، وذكر مياهه ونباته وحيوانه ومشاهده وآثاره وأسواقه ، فإن كل هـذا مما يتناوله البحث الجغرافى الخالص : أما البكرى فقد حدّد غرضه فى مقدمته بأنه لُغوىّ بحْت ، يقوم على الضبط وتصحيح الأسماء أولا ، لا على جمع الأخبار ، ولذلك قلّ تعرّضه لكثير مما يتعرض له الجغرافىّ المتخصص : ولم يكن كذلك مما يعنيه أن يذكر العلماء الذين خرجوا من كل بلد ، مما أطال فيه ياقوت وأسهب ، وهو إن لم يخْلُ من فائدة إلى الحشو أقرب ، لأن لمعرفة الرجال كتبا خاصة ، وقد عابه بذلك صاحب كتاب « مراصد الاطلاع ، على أسماء الأمكنة والبقاع » ، الذى اختصر معجم البلدان ، بعد حذف فضوله وحشوه ، فى نحو ثلث صحائفه.

وليس فى معجم البكرىّ ما يُعاب به عند المشارقة ، سوى ترتيبه بترتيب حروف الهجاء عند المغاربة على هذا النحو : ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ و ى

ولكن ما يُعاب به عند جميع الناس أنه جعل ترتيب الكلمات فى كل باب على ترتيب الحرفين الأول والثانى الأصليين من الكلمة ، دون نظر إلى ترتيب ما بعدهما من

الحروف . وإذا كان الحرف الثانى ألفا زائدة كألف صاحب وفاصل ، أهمله ولم ينظر إليه ، واعتبر الحرف الثانى مابعد الألف ، وفى هذا مافيه من العُسر والتكلف . ولذلك يضطر الباحث عن كلمة فى حرف من الحروف أن يقلِّب صفحات المعجم فى هذا الحرف ، حتى يعثُر على ضالَّته بالمصادفة ، لا بأن يطلبها فى موضعها الذى ينبغى أن تستقر فيه ، بحسب نظام الفهرسة الدقيقة لألفاظ المعاجم .

ولذلك كان من عملى فى هذا المعجم أن غيّرت وضع مادته ، ورتبتها على حسب ترتيب حروف الهجاء فى المشرق ، وعلى مايقتضيه نظام الفهرسة الصحيح ، وذلك بترتيب حروفها بحسب صورتها ، لا بحسب جوهرها ومادتها ، فليس مما يُعنى الباحث أن يكون الحرف أصليا أو زائدا ، وإنما يعنيه أن يكون موضع الكلمة التى فيها حرف الألف قبل موضع الكلمة التى فيها حرف الباء ، وهذه قبل التى فيها حرف التاء ، فى أى مكان وقع الحرف من الكلمة . كما يُعنيه هذا الترتيب نفسه فى الأحرف التى بعد الحرفين الأوّلين ، وبهذا تأخذ الكلمات أوضاعا طبيعية مسلسلة ، تهتدى فيها العين إلى موضع البحث من المعجم بسرعة ، وبالنظرة العَجلى والخاطفة ، دون كد الذهن فى قواعد الأصالة والزيادة ، أو الاعتماد على الفهارس والملاحق وما إليها ، فإن ذلك مما يصرف النفس عن الاستفادة من الكتاب إلى غيره مما هو أسهل منه وضعا . وكم رأيت من فضلاء الباحثين من يصرفه تعقيد كتاب القاموس المحيط للفيروزابادى ، عن الاستفادة من جواهره ولآلئه .

وعلى الرغم من هذا تلقى العلماء المسلمون قديما وحديثا معجم البكرى بالقبول ووثّقوا صاحبه ، ورفعوه مكانا عليا ، فوق اللغويين وأصحاب المعاجم ، واعتمدوا عليه فى تحقيق المشكلات ، خصوصا علماء المغاربة والأندلسيين ، من المحدّثين والأخباريين ، ومن أشهرهم القاضى عياض (٤٧٦ — ٥٤٤ هـ) فى مشارق الأنوار ، والسُّهيلى (٥٠٨ — ٥٨١ هـ) فى الروض الأُنُف ، فقد نقلا عنه كثيرا فى كتابيهما . أما أصحاب المعاجم اللغوية ، فمعجم البكرى كان عندهم أعظم أصولهم ، فى تحقيق أعلام البلدان العربية وضبطها ، وأكثر من انتفع به منهم الفيروزابادى (٧٢٩ — ٨١٧ هـ) صاحب القاموس ، والزَّبيدى (١١٤٥ — ١٢٠٥ هـ) صاحب تاج العروس ، وشيخه محمد بن الطَّيب الفاسى (١١١٠ — ١١٧٠ هـ) صاحب الحاشية على القاموس ، وكثير غير هؤلاء .

ومهما ذكرت المعاجم اللغوية من أسماء المواضع ، فقد بقى فى معجم البكرى بعد ذلك كثير من أعلام الأمكنة ، لم تحوه معاجم اللغة ، مع أنه من صميم المادة العربية ؛ ولذلك كان الكتاب ولا يزال مرجعا مستقلا يقدره العلماء الباحثون حق قدره .

والعلماء المستشرقون من الغربيين ليسوا أقل تقديرا لهذا المعجم من المشارقة ، فقد أبان العلامة دوزى الهولندى عن منزلة معجم البكرى فى كتابه : مباحث فى التاريخ السياسى والأدبى لأسبانيا فى العصور الوسطى (الجزء الأول ، الطبعة الأولى بليدن سنة ١٨٤٩ ص ٣٠٤ ، ٣٠٥) إذ يقول ما ملخصه :

« إن المعجم فريد فى بابه ، فليس لدينا كتاب يمكن أن يوازن به من ناحية السعة ، أو من ناحية دقة التفاصيل ، فهو يحتوى على عدد ضخم من أسماء الأماكن والبلاد والجبال والأنهار والمياه ، مرتبة بترتيب الحروف الهجائية عند أهل المغرب ، مما يرد ذكره فى الروايات العربية القديمة ، وفى أحاديث الرسول ، وفى الشعر على الخصوص . والمؤلف ينبه على ضبطها وتحديد أماكنها ، ويقتبس كثيرا من الأشعار التى ورد ذكرها بها . ولا شىء أجلب للعناء ولا أحوج إلى الضبط ، من أسماء المواضع والأماكن التى ترد فى الشعر القديم . والكتاب يقدم معونة لا تقدر فى هذه السبيل ، ولا غنى عنه لكل من يدرس التاريخ والشعر القديمين ، والجغرافيا والوثائق التاريخية أو الشبيهة بالتاريخية .

وأقول أخيرا ما قلته أولا : إن هذا الكتاب فريد فى بابه ، إذ أن كل ما بقى لنا من هذا النوع ضئيل هزيل ، غير دقيق فى معظم الأحيان ، إذا وزن بهذا الكتاب الجليل ، الملىء بالتفاصيل الشائقة الغريبة ، والذى ألفه مؤلفه مستعينا بأصول ممتازة ، تكاد تكون اليوم مفقودة .

ومؤلفه أديب وجغرافى ، كان جديرا كل الجدارة بالقيام بهذه المهمة الشاقة ، فإن غيره من الجغرافيين يكدسون الأخطاء فوق الأخطاء ، ويأتون بالمتناقضات بعد المتناقضات ؛ فإذا أخذت اسم مكان ورد فى قصيدة قديمة ، وحاولت البحث عنه فى أى كتاب — خلا « مراصد الاطلاع ، على أسماء الأمكنة والبقاع » فإنه فى هذا الباب فوق كل نقد — وفرض أنك وجدت الاسم فيه ، وذلك نادر ، ووازنت بين ما يقوله ذلك الجغرافى فى كتابه ، وما يقوله البكرى ، فإنك تجد فى الغالب أن المعلومات التى يأتى بها الأول خطأ كلها ، أو قل : مختلطة

موهَّمة ، على حين أن المعلومات التي يأتي بها البكري صحيحة مفصلة ، وواضحة ناصعة .

ويزيد في قيمة هذا الكتاب مقدمته التي بيّن فيها المؤلف حدود بلاد العرب ، وأقسامها الجغرافية : تهامة والحجاز ونجدا واليمن ، كما تحدث فيها عن القبائل العربية ، التي استقرت في هذه الأقسام ، وأرّخ تنقلاتها ووقائعها وأيامها » .

أما المستشرق فردنند وستنفلد (١٨٠٨ — ١٨٩٩) صاحب الفضل على المكتبة العربية ، بما نشر من نفائسها وذخائرها ، مثل مُعجم البلدان لياقوت ، والسّيرة لابن هشام ، والاشتقاق لابن دريد ، وكثير غيرها من أمهات الكتب ، فقد اتجه بتقدير العلاّمة دُوزي للكتاب ، وأقبل عليه يدرسه ، ويستجلي محاسنه ، وأدهشته مقدمته ، فترجمها كلها إلى الألمانية ، وأنشأ على أساسها بحثا مهما في أماكن القبائل العربية وتنقلاتها (وقد طبع كبحث مستخرج من المجلد الرابع عشر لأعمال الجمعية الملكية للعلوم سنة ١٨٦٩) .

ثم اتجهت عنايته إلى نشر المعجم ، فراح يجمع له الوثائق ، ويقابل نسخه التي كتبها بالنسخ المفرقة في مكتبات ليدن ، وكمبردج ، ولندن ، وميلان . واستخلص بالاعتماد على هذه النسخ الأربع صورة كتبها بخطه ، وأذاعها بطبعة الحجر . Lithographie ، في مجلدين كبيرين من القدر المتوسط ، بلغ مجموع صفحاتهما مع المقدمة والفهرس أكثر من ٩٠٠ صفحة ، صدر المجلد الأول منهما سنة ١٨٧٦ ، والثاني سنة ١٨٧٧ بجوتنجن من ألمانيا .

وقد بذل وستنفلد قصارى جهد العالم الضابط ، في الضبط والتحري ومقابلة النسخ ، والاستيثاق من الأصول . وأضاف إلى الكتاب فهرسة شاملة للمواضع التي وردت قصدا في أماكنها ، وعرضا في غير أماكنها مرتبة على حروف الهجاء بطريقة أهل المشرق ، بلغت سبعا وخمسين صفحة ، ومقدمتين لجزأين في اثنتي عشرة صفحة ، وبلغ في كل ذلك زمنا طويلا ، بل عمرا مديدا .

لكن النسخ التي اعتمد عليها العلامة وستنفلد ، كما وصفها في مقدمة الجزء الأول ليست مستوية في درجة الصحة ، ولا في استيفاء المادة ، وقلما خلت من اضطراب ، كأكثر النسخ الموجودة في العالم من هذا الكتاب .

ولذلك وقع في مطبوعته شيء كثير من التصحيف والتحريف ، والزيادة والنقص ، [illegible] النسخ الأربع ، ولعله إنما نشره [illegible]

الحجر ، وأغفل مقابلات النسخ ، لأنه اعتبرها طبعة مؤقتة يستفيد منها العلماء فى بحوثهم فائدة سريعة ، إلى أن يحصل على أصول أخرى غير تلك ، أتم ضبطا ، وأوضح خطا ، وأكثر تفصيلا ، تعين على نشر الكتاب وإذاعته فى طبعة بمطبعة الحروف ، كما فعل فى معجم البلدان والسيرة والاشتقاق وغيرها . هذا إلى أنه أبقى المعجم على ترتيبه الذى وضعه عليه المؤلف ، وهو وضع غير مألوف عند المشارقة ، لاختلاف ترتيب الحروف الهجائية فى المغرب ، عنها فى المشرق . ولذلك كان مصدر عناء للباحثين فى طبعة جوتنجن من المشارقة ، فلم يقبل عليه إلا الأقلون ، برغم أن الناشر قد أضاف إليه فهرسة على ترتيب أهل المشرق للحروف .

وقد حفزنى الإعجاب بمعجم البكرى ، أن أبحث إبان الحرب ، عما يوجد من مخطوطاته بمصر ، فتتبعت فهارسها بجامعة فؤاد الأول ، ودار الكتب المصرية ، وخزانة الأزهر ، وغيرها ، فعثرت على ثلاث نسخ منه ، اثنتين بدار الكتب ، ونسخة بالأزهر ، وكلها يمتاز بحظ موفور من الضبط ، والوضوح ، وجمال الخط ، وإن لم تستوف استيفاء المادة ، فأقبلت عليها بحثا ودرسا ، ومقابلة وموازنة ، إلى أن وضح لى أنها فى مجموعها أقدم زمنا وأحسن ضبطا ، وأتم تفصيلا ، من النسخ التى عثر عليها العلامة وستنفلد ، وأنه يمكن أن ينتفع بها كلها فى تصحيح الكتاب ، وإخراج صورة صحيحة منه .

ولما كانت لجنة التأليف والترجمة والنشر معنية بنشر نفائس المخطوطات والكتب ، عرضت أمر هذا المعجم على حضرة رئيسها صاحب العزة العالم الجليل الأستاذ أحمد أمين بك ، فوافق على إعادة نشره ، مطابقا للأصول المصرية المحفوظة عندنا بمصر ، وعهد إلى فى القيام بتحقيق الكتاب وترتيبه ، على أن تتكفل اللجنة بنفقات طبعه فى مطبعتها .

وها نحن أولاء جميعا نقدم هذا الجزء الأول من المعجم إلى رواد البحث عن المصادر العربية العتيقة ، يختال فى أبراده ووشيه ، وحلله ورقمه ، من الورق الأبيض الناصع ، الذى طال عهد الناس بفقده ، ومن الحروف العربية الجميلة ، فوق الذى بذلناه فيه من تحقيق وتصحيح ، لا تراهما إلا العين المجردة من الهوى ، مما اقتضى منا كثيرا من الجهد المضنى ، والعناء الذى لا يقوم به إلا الصبر الجميل .

الأصول المخطوطة التي اعتمدت لطبع هذا المعجم

أما الأصول المخطوطة التي اعتمدتُ عليها في إخراج الكتاب وتحقيقه فثلاثة :

الأصل الأول : النسخة المرموز لها بالحرف ص ، وهي محفوظة بدار الكتب المصرية ، ورقمها ٤٠٤ جغرافيا ، بخط واحد ، من أول الكتاب إلى آخر حرف الخاء ، وخطها أندلسي جميل ، وورقها كتّاني ثخين ، أبيض مُشرَب صُفرة ، تخف على الحواشي ، وتشتد تحت السطور المكتوبة ، ويكاد يكون لون الورق تحت المداد بُنيًّا ، وقد آذنت هذه النسخة بالزوال ، لكثرة ما بها من تقطيع وترقيع ، وهي لا تحتمل تقليب الأيدي ، لشدة جفاف ورقها وتكسره ؛ وتحسن دار الكتب صنعا بأن تصورها ، وتحفظ أصلها في حجرة المعرض ، لقدمها وجمال خطها .

عدد صفحات هذا المجلد ٢٩٩ صفحة . ويؤخذ من قدر مادته ، ومن عبارة الصفدى التي على وجهه أنه كان يتبعه سِفران آخران ، إلا أنه اليوم أصبح فريدا وحيدا . أما المجلدان الآخران اللذان أضيفا إليه لتكملة النسخة ، وكتب عليهما الرقم الذى على السفر الأول (٤٠٤) فليسا من هذه النسخة فى قليل ولا كثير ، وإنما هما بقية من نسخة أخرى ، سنصفها بعد هذه ، وثبت خطأ دار الكتب فى ضمها ، بأدلة فنية ومادية لا تحتمل جدلا .

طول صحيفة هذا المجلد ٢٧ سنتيمترا ، وعرضها ٢٠ وطول مسطرتها ١٩ سنتيمترا ، وعرضها ١٣ وعدد سطورها ٢٥ وعدد كلمات كل سطر فى المتوسط ١٤ كلمة ، وتتميز كلمات المعجم وأسماء الشعراء بخط كبير جميل ، بقلم الكاتب نفسه ، وبالمداد الأسود الذى كتب به المتن ، وبأعلى الصفحة الأولى من الكتاب بخط كبير هاتان الكلمتان :

وقف الخاصية

وتحته بخط أندلسي كبير : السفر الأول من كتاب

وتحت ذلك بنفس الخط : معجم ما استعجم تأليف أبي عبيد

وتحت ذلك بخط صغير : عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكرى

وتحته : رحمه الله ، وغفر له

وتحت ذلك هذه العبارة التي تتضمن تاريخ النسخ ومكانه ، وهي :

« استنسخ بمدينة متيجة حرسها الله ، من كتاب الفقيه . . . .
الفقيه الأجل الأكرم الأفضل أبي محمد عبد الله بن الشيخ المرحوم أبي الطيب عبد المنعم ابن عبد النور ، رحمهم الله ، ونفع به مالكه .

وكان الفراغ منه يوم الخميس التاسع عشر من رجب الفرد عام عشرة وستمائة .

ونلاحظ هنا أن يداً أثيمة قد امتدت إلى اسم الفقيه مالك النسخة التي هي أصل لنسختنا هذه ، فمحته ، وصار مكانه خلوا بقدر سطر .

وتحت ذلك قريبا من وسط الصفحة ، كتبت هذه العبارة ، بخط الرقعة الجليل الحديث :

« مستخرج من رشت الأوقاف ومضاف في ١٤ ديسمبر سنة ١٨٩١ نمرة ٧١ عربية
نمرة خصوصية : ١٨٣ لغة   نمرة عمومية : ٢٥٥١٥

ويلي ذلك حروف الهجاء عند المغاربة ، وهي التي رتب عليها المعجم ، وأملها بخط الكاتب ومداده .

وفي أسفل الصفحة من جهة اليمين كتابة جانبية نصها : « هو مما بيده من كتب خليل بن أيبك الصفدي » . والعبارة بخط بارع في الجمال ، من خط عصر المماليك ، ويظهر لي أنها خط الصفدي نفسه ، وهي تشبه تعليقات كثيرة ، وطررا مكتوبة بهذا القلم البارع ، مبثوثة على هوامش الكتاب وجوانبه .

وفي اعتدال صفحة الكتاب إلى جانب عبارة الصفدي ، نحو خمسة أسطر بخط ديواني مصري متأخر ، بين النسخي والرقعة ، قد محيت ، وبقيت معالمها غير واضحة ، وفيها بقية من اسم المرحوم علي مبارك باشا ، أحد الوزراء السابقين في عصر إسماعيل وتوفيق . ولعل هذه العبارة تتضمن محضرا وإشهادا بالعثور على هذه النسخة بجامع المؤيد ، واستنقاذها من التشتت ، حينما كان علي مبارك باشا وزيرا للأوقاف والأشغال ، وله إشراف على المساجد وما تحويه خزائنها من الكتب ، ولعل علي مبارك باشا تملك هذه النسخة حقبة من الزمن ، ثم أعادها إلى دار الكتب تحتفظ فيها . وقد محيت هذه العبارة ، واكتفوا بأن كتب بدلها في وسط الصفحة بالمداد البنفسجي ، العبارة : مستخرج من رشت . . . .
التي ذكرناها آنفا .

وخط الصفدي على نسخة هذا السفر هو الشهادة التاريخية التي لا تقبل الجرح ، بأن هذا السفر من كتاب معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري .

ذلك إلى أننا نجد في الجانب الأيسر من الكتاب عنوان كله أبي عبيد ، اسم محمد بن شيخ السلامية الحنبلي ، بخط مملوكي جهير جميل ، وهذا من شيوخ العلم الذين تزكى شهادتهم شهادة الصفدي ، ولعله أحد من تملكها .

وفي الزاوية اليسرى العليا شهادة أخرى بأن هذه النسخة اعتمدت المقابلة والتصحيح ، ونصها : قابل به ، وصحح عليه ، علي بن . . . [وذهبت بقية الاسم عند التجليد] عفا الله عنه ، ولطف به ، غفر الله سبحانه لصاحبه .

وعلى هوامش هذه النسخة من الداخل إضافات بعضها بخط الناسخ نفسه ، تكملة لنقص فاته من نفس الأصل ، أو إثباتا للمقابلة بأصل آخر ، وهي كثيرة جدا ، وكثير منها بخط العلامة الصفدي ، كإضافة رسم « إضمت » . وبعض هذه الإضافات استدراكات على المؤلف ، لأنه ترك شيئا كان حقه أن يذكره ، أو تصويب نسبة شعر إلى قائله ، أو نحو ذلك مما نراه مبثوثا على الهوامش .

والنسخة في جملتها صحيحة ، وخطها واضح جميل ، إلا أنها لا تخلو من خطأ ، برغم الاستدراكات والمقابلات المثبتة عليها ؛ وكثيرا ماتتفق هذه النسخة هي ونسخة جوتنجن ج التي نشرها المستشرق وستنفلد ، في صوابها وخطئها ، كما يستفاد من تعليقاتي المثبتة في ذيول الصفحات ، وأظن أن الأصل الذي كتبت عنه نسخة س كان أصلا لبعض النسخ الأوربية التي اعتمدت لطبع النسخة ج .

وقد جعلنا هذه النسخة هي الأم الأولى ، التي يدور عليها محور المضاهاة والمقابلة للجزء الأول من المعجم ، ورمزنا لها بالحرف س ، إشارة إلى المدينة التي كتبت فيها ، وهي سبتة .

وليس معنى كونها أصلا أول أني أتمسك بلفظها حتى إذا ثبت كونه خطأ ، بل أعتمد اللفظ الصحيح في المتن من أية نسخة ، وأثبت نتيجة المقابلة في الهوامش .

الأصل الثاني : النسخة ق . وهي مؤلفة من ثلاثة أجزاء ، كتب أولها في مدينة القاهرة بخط نسخي جميل ، من عصر الأتراك العثمانيين ، على ورق كتاني أبيض ، ناصع مصقول ، رقيق لين . وهو محفوظ بدار الكتب المصرية ، ورقمه ٤٥٥ جغرافيا .

وهذا الجزء يبتدىء من أول الكتاب ، وينتهى فى رسم (خاخ) من كتاب حرف الخاء ، عند قول الشاعر :

لأبصر أحياء بخاخ تضمنت منازلهم منها التلاع الدوافع

وبعد ذلك فى أول الجزء الثانى : « وقال على بن أبى طالب » . وهو فى قياس نسخة س طولا وعرضا وكتابة ، إلا أن مسطرته واحد وعشرون فى كل صفحة . كما أنه خلو من تاريخ النسخ ، واسم الناسخ ، وليس عليه مقابلات نسخ ، ولا تصحيحات أو استدراكات ، إلا شيئا نادرا جدا ، بخط الناسخ .

وعلى الصفحة الأولى منه بخط الشيخ أحمد المنهورى ، من علماء الأزهر المتأخرين ، تحت اسم الكتاب ، هذه العبارة : « وقف هذا الكتاب الأمير عبد الرحمن جاويش قصدعلى ، على طلبة العلم بالأزهر ، وجعل مقره خزانة كاتبه الحقير أحمد المنهورى ، عُفى عنه » . ويلى ذلك حروف الهجاء مرتبة على طريقة المغاربة ، كمفتاح للبحث فى المعجم .

ويظهر أن هذه النسخة قبل أن تجلد كانت كراريس (ملازم) غير مخيطة ، ولذلك التزم الشيخ المنهورى أن يكتب فى رأس أول صفحة من كل كراسة بخطه ، هذه العبارة : « وقف بخزانة المنهورى بالأزهر » .

وهذا الجزء أصح كثيرا من النسخة س ويمتاز بأن الإضافات والتصحيحات التى على هامش س كلها موجودة فى صُلب هذا الجزء ، بخط الناسخ . ومن أمثلة ذلك أن الإضافة التى زادها المؤلف على رسم البقيع ، وهى التى توجد على هامش النسختين س ، ز ، وخلا منها نسخة ج ، قد نقلها هذا الجزء فى صُلبه لا فى هامشه . فيظهر أن هذا الجزء منقول عن نسخة مصححة غاية التصحيح ، مضبوطة أكمل الضبط ؛ ومع ذلك قد وقع فيه أخطاء قليلة ، ولعلها كلها من اشتباه الأصل المنقول عنه على الناسخ ، فلم يحسن قراءته .

وفى هذا الجزء من نسخة ق خرم مقداره ورقة من وجهين ، بين صفحتى ٢٣٦ ، ٢٣٧ من أول قول المؤلف فى رسم « الجمرانة » : الحجازيون يخففون . إلى أول قول ابن مقبل : « ومرت على أكناف هبر عشية » . ومقدار ذلك فى نسخة س خمسة وأربعون سطرا .

ولابد هنا من الإشارة إلى أن معظم الخطأ الذى يقع فى نسخ هذا الكتاب ، سببه الخط المغربى ، الذى تشتبه قراءته كثيرا على المشارقة ، ومن أسباب شيوع الخطأ فى الخط المغربى نقط حرف الفاء بواحدة من تحت ، والقاف بواحدة من فوق ؛ وأن المغاربة لايهمزون ما يهمزه المشارقة ، وكثيراً ما يكتبون الضاد ظاء ، والظاء ضاداً ، مما يوقع القارىء فى كثير من اللبس والخطأ ، إلا من اعتاد قراءة خطوطهم .

ومن مزايا هذا الجزء أن الكلمات التى تشرح كتبت بخط أكبر من كلمات المتن ، وبمداد أحمر ، وليس كذلك أسماء الشعراء فيه .

أما الجزءان المتممان لهذا الجزء ، فمكتوبان بخط مغربى ، قريب من خط النسخة س وهما فى طولها وعرضها ونظامها ، ولذلك اشتبه أمرهما على المفهرسين فى دار الكتب قديما ، فضموهما إلى النسخة س ، وجعلوهما متممين لها ، وكتبوا عليهما الرقم ٤٠٠ جغرافيا ، واعتقدت أنا ذلك حينا ، ولكن بطول التأمل فى النسختين ، ظهرت لى فروق بينهما ، وأن كلا منهما أصل غير الآخر .

١ — فما لاح لى من الفروق بينهما الخط ، والخط أمر فنى ذوقى ، تدركه العين ، ولا يحيط بمداه الوصف . ومع تشابه النسختين خطا إلى حد كبير ، فإنى أقرر أن اليد التى كتبت إحداهما غير اليد التى كتبت الأخرى ؛ ولست فى ذلك حاطبا فى الظلام ، لأنى أكتب الخط الجيد ، وأستطيع أن أميز أقلام الكتاب ، وذوق العصور .

٢ — وفرق آخر أدق من هذا وأوضح ، وهو أن الكاتب لم يجر فى هذين الجزأين على عرف المغاربة ، الذى جرت عليه س فى نقط الفاء والقاف ، وإنما نقطهما كما يفعل المشارقة . وهذا فرق جوهرى لامرية فيه .

٣ — وفرق ثالث من حيث الورق ، فورق النسخة س كما قلت كتانى ثخين جاف غير مصقول ، ولونه إلى الصفرة . أما هذان الجزءان من نسخة ق فورقهما أبيض وإن كان غير ناصع البياض ، تشوبه حمرة أحيانا ، وفيه نعومة وصقال أكثر من ورق س .

٤ — وفرق رابع من حيث التملك ، فالنسخة س كما قلت فى وصفها كانت من كتب الشيخ الجليل خليل بن أيبك الصفدى ، وكان بمصر مكتبته قد استقر بجامع المؤيد بالقاهرة . أما الجزءان الثانى والثالث من نسخة ق فقد كانا فى يد الأمير عبد الرحمن

فستقل ، ووقفهما على طلبة العلم بالأزهر ، وجعل مقرها خزانة العالم الأزهرى الشيخ أحمد الدمنهورى ، وكتب على كل كراسة فى الورقة الأولى منها : وقف على طلبة العلم بالأزهر . وهذه العبارات كلها موجودة على الأجزاء الثلاثة من النسخة ق .

٥ — وفرق خامس ، وهو اختلاف تاريخ النسخ : فقد جاء فى آخر الجزء الثالث من نسخة ق ما نصه : « كتبه الفقير إلى رحمة ربه ، المستغفر من زلله وذنبه ، على بن عبد الله بن مسعود القارى ، غفر الله له ولوالديه ، ولمن دعا لهم بالرحمة ، ولجميع المسلمين .

وكان الفراغ منه يوم الأحد سابع عشرين رجب من سنة ثنتين وستين وستمائة » .

فبين كتابة الجزء الأول من النسخة س وكتابة الجزأين الأخيرين من نسخة ق أكثر من خمسين عاما .

٦ — وفرق سادس ، وهو أن نهاية الجزء الأول من س بآخر حرف الخاء لا تتفق مع بدء الجزء الثانى من ق فى وسط رسم (خاتم) . وهذا أيضا دليل مادى لا تجحد قيمته .

٧ — وفرق سابع من حيث عدد الأسطر ، فمسطرة س ٢٥ سطرا ، ومسطرة هذين الجزأين ٢١ سطرا ، كمسطرة الجزء الأول .

أما من حيث الصحة والضبط ، فيظهر أن هذين الجزأين فى درجة النسخة س ؛ فعلى هوامشهما كثير من الإضافات والطرر ومقابلات النسخ ، بأقلام مختلفة ، بعضها مغربى ، وبعضها بخط نسخى جميل أشبه بخط الشيخ خليل الصفدى وليس به .

الأصل الثالث : النسخة ز ، وهى محفوظة بخزانة الأزهر ، ورقمها ٣٢٣ تاريخ . وليست نسخة كاملة ، وكانت مقسمة إلى أربعة أجزاء ، ضاع معظمها وبقى أقلها .

بقى من الجزء الأول ٥٢ ورقة من آخره ، تبتدئ بقول المؤلف : (والرعثاء ، قال عمر) وهذه العبارة فى رسم « أرعث » أول صفحة ٣٣١ من مطبوعتنا هذه ، وينتهى بآخر هذا الجزء .

وبقى الجزء الثانى كله ، وعدد ورقاته ٧٨ تبتدئ من حرف الجيم إلى آخر حرف الزاى . وهذه النهاية تتفق مع نهاية الجزء الأول من نسخة ج ، التى هى فى مجلدين كبيرين .

وبآخر هذا الجزء العبارة الآتية بخط الناسخ : « تم السفر الثانى من المعجم للبكرى رحمه الله تعالى ، وصلى الله على محمد رسوله المصطفى وعبده » .

وكتب محمد بن خلف في شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة ».

وهـذه النسخة أقدم النسخ التي بأيدينا ، ولعلها أقدم النسخ الباقية من الكتاب ، بين كتابتها ووفاة المؤلف نحو مئة سنة وعشر . وعلى هامشها ما يفيد أنها قوبلت بأصل بخط المؤلف . وهي بخط أندلسي غاية في الجمال ، شبيه في قاعدته بخط النسخة س ، إلا أنه أدق منه وأجمل ؛ وورقها أيضا شبيه بورق النسخة س ، فيه صفرة تشتد في مواضع الكتابة جدا ، حتى تكون بنّيّة ، يضرب في لونها سواد المداد ، وعليها تعليقات بخطوط مختلفة مغربية ، ومسطرتها سبعة وعشرون سطرا في كل صفحة . وهي الغاية في الصحة والضبط والوضوح ، ولو كانت كاملة لفاقت جميع الأصول الموجودة من هـذا الكتاب في العالم .

وقد تطرق إليها البلى والوهن ، وصارت صحائف متآكلة ، أشبه بالأوراح ، ويجمل أن تعنى إدارة خزانة الأزهر بتصويرها ، لتحفظ هذه البقية من عاديات الأيام .

أما نتائج مقارنات النسخ الثلاث (س ، ق ، ز) فيما بينها ، ثم مقارنتها بنسخة ج المطبوعة في جوتنجن بألمانيا ، فقد فصلتها في الحواشي أسفل الصفحات ، فعلى من يريد البحث في مزايا كل نسخة أن يراجع ما أثبته من ذلك .

وإنما أن أخرج النسخة ج المطبوعة في جوتنجن بألمانيا من حسابي في المقابلة والمضاهاة ، بل قارنت بينها وبين نسخنا المخطوطة ، لأدل الباحث على مزايا النسخ جميعا ، وفي ذلك فائدة أيضا لمن شاء من الأوربيين أن يقارن مخطوطات أوربة بمخطوطات الشرق .

بقيت مسألة واحدة تحتاج إلى التفسير : فما سر اختلاف النسخ بالزيادة والنقص ، وهذا أمر يظهر أنه ليس للناسخين دخل فيه ؟

والجواب عن ذلك هين ميسور ، وقد أجاب عنه العلامة وستنفلد من قبل في مقدمته لمطبوعته . ذلك أن البكري كتب المعجم أولا ، ثم أذاعه وتهاداه الناس والرؤساء ، كما بيناه في موضعه ، ثم ردد النظر في المعجم متصفحا منقحا ، فبدا له فيه أشياء لم يفطن لها أول الأمر ، فأصلحها على هامش بعض النسخ ، أو كما يقول العلامة وستنفلد في أوراق وجزازات ، وألحقها بمواضعها من الكتاب ، ثم جاء الناسخون ينقلون الكتاب ، فبعضهم عثر على نسخة منه قبل التنقيح ، فنقلها ناقصة ؛ وآخر عثر على نسخة منه منقحة

فنقلها كاملة ، وبعضهم نقل الحزازات كلها ، وبعضهم وجدها ناقصة ؛ فاختلفت نسخ الكتاب فى أيدى الناس . وهذا أمر عهدنا مثله فى مقدمة ابن خلدون ، وفى دواوين كثير من الشعراء .

وقد بنيت على هذا تنبيها واحدا جدا فى هذا الكتاب فى رسم البقيع ، إذ كان المؤلف قد خلط أولا بين البقيع والنقيع ، ثم بدا له ، ففصل البقيع عن النقيع ، بصيمة ضمها إلى الأصل فى البقيع ، فاقرأ ذلك فى الصفحات ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

والزيادات التى على هوامش النسخ احتمال آخر : أن يكون بعضها من إضافة الذين قرءوا الكتاب من العلماء ، ولم ينبهوا على أن ذلك زيادة من عندهم ؛ فيشتبه أمرها على الناسخين ، فينقلوا هذه الزيادات فى المتن ، على أنها من تتمة كلام المؤلف . وهذا نادر الحصول فى معجم البكرى . ومن أمثلته أن المؤلف حين ينسب الشعر إلى النابغة الذبيانى يقول : قال النابغة ، ولا يزيد على ذلك . وهذا ملحوظ عندنا فى النسخ الثلاث المخطوطة ، أما نسخة ج فتزيد دائما كلمة «الذبيانى» بعد النابغة ، وأظنها من زيادات القارئين .

وقد رأيت مثل هذه الزيادات التى يدخلها الناسخون على المتون الأصلية ، فى نسخة شرح التبريزى لسقط الزند ، المخطوطة بدار الكتب المصرية برقم (١٤٣٤) .

ولم أكتف فى تحقيق هذا الكتاب بمقابلة النسخ وإثبات صور الخلاف والاتفاق بينها ، ولكنى عرضت مادة المعجم عرضا دقيقا على المصادر التى أخذ منها المؤلف إن وجدت ، ككتب الأشعار والأحاديث والتواريخ ؛ وعلى مصادر أخرى لم يأخذ منها المؤلف ، ولكنها تشاركه فى موضوع بحثه ، كمعاجم اللغة ومعاجم البلدان . وقد خرجت من هذا العرض الشاق بفوائد كثيرة ، استدركا على المؤلف فى أمور أخطأ فيها . ويستطيع الباحث أن يقرأ ما كتبناه من ذلك فى رسم البقيع مثلا ، وفى رسم البواريح ، وفى رسم ثور ، وفى كثير غير هذه ، مما يراه مبثوثا فى ذيول الصفحات .

وسألحق بآخر الكتاب عند تمامه ، الفهارس التى أراها مكملة له ، ميسّرة للبحث عن فوائده ، مفصّلة لأغراضه ومقاصده .

التعريف بمؤلف الكتاب

أما مؤلف هذا الكتاب فهو أبو عُبيد عبد الله بن أبي مصعب عبد العزيز بن أبي زيد محمد بن أيوب بن عمرو البكري، من بكر بن وائل صَليبة. وهو لغوي من الطراز الأول في الأفق الأندلسي، تحدثنا مؤلفاته النادرة أنه امتاز على أهل عصره بثقافته اللغوية العالية، كما يحدثنا أصحاب التراجم بأن أسلافه كانوا من بيت السراوة والشرف والرياسة، وأرباب النعم؛ استمدوا الشرف من صريح أنسابهم في بلاد العُجْمة، كما استمدوه من ماضيهم الحربي في فتح الجزيرة، وشغل المناصب العالية في الدولة، فتحدثنا كتب التراجم أن جده أيوب بن عمرو تولى خطة الرد بقرطبة زمن الدولة الأموية، والقضاء ببلده لَبْلة. والقضاء كان من المناصب التي يحتكرها علية الناس وسرواتهم في الأندلس. فلما انتثر عقد دولة الأمويين، تغلب ملوك الطوائف على ما بأيديهم من البلاد، واستقل البكريون بأونبة (ولبة) وشلطيش وما بينهما من البلاد في كورة لَبْلة، على ساحل البحر المحيط، غربي إشبيلية، وقعدوا منها مقعد أكابر الأمراء، من الخروج عن الطاعة، والاستبداد عن الجماعة. ودامت إمرة البكريين في تلك الناحية نحو أربعين سنة، انتهت بتغلب المعتضد عبّاد بن محمد صاحب إشبيلية سنة ٤٤٣ على ما جاوره من البلاد والإمارات الصغيرة. وكان آخر البكريين حكماً بأونبة أبو مصعب عبد العزيز، والد أبي عبيد صاحب المعجم، فخرج هو وآله منها، ونزلوا قرطبة في كنف ابن جهور.

ولم تصرح كتب التراجم بالسنة التي ولد فيها أبو عبيد، وإنما ذكرت وفاته سنة ٤٨٧ هـ عن سن عالية، كما يشهد بذلك كلام الفتح بن خاقان في القلائد.

وقد ذكروا من أساتذته أربعة من جلة علماء الأندلس: أبا مروان بن حيّان صاحب التاريخ المشهور، وأبا بكر المُصْحَفي، وأبا العباس العُذْري، وأبا عمر يوسف بن عبد البر النمَري، حافظ الأندلس، ومحدثها الأكبر؛ تذكر كتب التراجم أنه أجاز أبا عبيد، ولعله ناوله كتبه ومروياته، وهي كثيرة، ولكن البكري لم يأخذ عنه، ولم يسمع منه، وإن كان بعض الباحثين قد فهم من الإجازة أنه تلمذ له.

ولم تذكر التراجم غير من ذكرنا من شيوخه. أما أنا فأرى البكري من ثمرات ذلك الغراس الأدبي واللغوي، الذي غرسه أبو علي القالي في إقليم الأندلس. فقد تخرج

بكتب أبي علي القالي ، والتي حملها من الشرق ، من مخطوطات منسوبة ، مقروءة على مؤلفيها ، مضبوطة أتم الضبط ، ومصححة غاية التصحيح ، بسماع أبي علي ، أو روايته عن مشيخة العراق ، من أمثال ابن دريد أو أبي عبيد ، أو نفطويه أو ابن السكيت أو الأصمعي أو غير هؤلاء من أئمة اللغة . وليس من المجازفة أن أقول اعتماداً على المعجم وعلى اللآلي : إن البكري ورث وقرأ كثيراً من كتب القالي ، التي عليها خطه أو خطوط أصحابه . بل ، قد تمرس البكري بتواليف القالي تمرساً ، وقلاها فنياً ، واستطاع بثقافته الممتازة أن يشرحها ، ويستدرك عليها ، وينقدها نقد الصيرفي للدراهم . وتلك منزلة عالية في الإحاطة باللغة والشعر والتاريخ والأنساب ، عرفها له أهل عصره ومترجموه ، فوصفوه بالتقدم في فنونه ، ورواج تواليفه ، حتى كانت تتهاداها الملوك في عصره .

وللبكري مؤلفات كثيرة ، أشهرها هذا المعجم ، وكتاب اللآلي ، في شرح أمالي القالي الذي نشره الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي ، نشرة علمية مصححة محققة ، بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٦ م .

ومنها كتاب الإحصاء لطبقات الشعراء ، وهو مثل المؤتلف والمختلف من أسماء الشعراء للآمدي ، إلا أنه أكبر منه . وكتاب اشتقاق الأسماء . وكتاب أعلام نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وكتاب التدريب والتهذيب ، في ضروب أحوال الحروب . وكتاب التنبيه ، على أغلاط أبي علي في أماليه ، وقد طبع ملحقاً بكتاب أمالي القالي . وكتاب صلة المفصول ، في شرح أبيات الغريب المصنف . وكتاب فصل المقال ، في شرح كتاب الأمثال . وكتاب المسالك والممالك ، وقد طبع منه البارون دي سلين قطعة باسم كتاب المغرب ، في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، بالجزائر سنة ١٨٥٧ م . وكتاب النبات ، أو أعيان النبات والشجريات الأندلسية .

وهذه الكتب كلها قد ذكرها الميمني في مقدمة سمط اللآلي ، وذكر بعضها السيوطي في بغية الوعاة ، وابن بشكوال في الصلة ، وأكثرها لم يطبع .

وكان البكري معنياً بكتبه ، يكتبها بالخط الجيد ، ويجلدها التجليد النفيس ، وكان الملوك والرؤساء يتنافسون في اقتنائها ، ويتهادونها في حياته .

وكما جاء في كتاب الصلة لابن بشكوال (المتوفى سنة ٥٧٨ هـ) في التعريف به :

« عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكرى ، من أهل شلطيش ، سكن قرطبة ، يكنى أبا عبيد . روى عن أبى مروان بن حيان ، وأبى بكر المصحفى ، وأبى العباس العذرى ، سمع منه بالمرية ؛ وأجاز له أبو عمر بن عبد البر الحافظ وغيرهم .

وكان من أهل اللغة والآداب الواسعة ، والمعرفة بمعانى الأشعار والغريب والأنساب والأخبار ، متقنا لما قيده ، ضابطا لما كتبه ، جميل الكتب ، متهمما بها ، كان يمسكها فى سباني الشرب وغيرها ، إكراما لها وصيانة . وجمع كتابا فى أعلام نبوة نبينا عليه السلام ، أخذه الناس عنه ، إلى غير ذلك من تواليفه . وتوفى رحمه الله فى شوال سنة سبع وثمانين وأربع مئة ، ودفن بمقبرة أم سلمة » .

وحلاه الفتح ابن خاقان المتوفى سنة ٥٣٥ هـ فى القلائد بقوله :

« عالم الأوان ومصنفه ، ومقرط البيان ومشنفه ، بتواليف كأنها الخرائد ، وتصانيف أبهى من القلائد ، حلى بها من الزمان عاطلا ، وأرسل بها غمام الإحسان هاطلا ، ووضعها فى فنون مختلفة وأنواع ، وأقطعها ما شاء من إتقان وإبداع . وأما الأدب فهو كان منتهاه ، ومحل سهاه ، وقطب مداره ، وفلك تمامه وإبداره . وكان كل ملك من ملوك الأندلس يتهاداه ، تهادى المقل للكرى ، والآذان للبشرى . . . . إلى آخر ما قاله » .

ومن قول ابن بسام الشنترينى (المتوفى سنة ٥٤٢) فى الذخيرة يصف المؤلف :

ومنهم الوزير أبو عبيد البكرى ، وكان بأفقنا آخر علماء الجزيرة بالزمان ، وأولهم بالبراعة والإحسان ، أرعهم فى العلوم طلقا ، وأنصعهم فى المنظور والمنثور أفقا ، كأن العرب استخلفته على لسانها ، والأيام ولته زمام حدثانها ، ولولا تأخر ولادته ، لأنسى ذكر كثير ممن تقدم الأوان : ذرب لسان ، وبراعة إتقان . . . . . . إلى آخر ما قال » .

كان أبو عبيد البكرى كاتبا ، ولعله قد كتب عن محمد بن معن الصمادحى صاحب المرية ، الذى اصطفاه وقربه ، ورفع مرتبته ، ووسع راتبه ، ولذلك كان يلقب بالوزير جرى بذلك قلم ابن بسام فى الذخيرة ، بل لقبه الضبى فى البغية بذى الوزارتين ، وقال الصفدى فى الوافى : إنه كان أميرا بساحل كورة لبلة ، وصاحب جزيرة شلطيش .

وفى رأيى أنه لقب بالوزير لأنه وزر لأبيه ، أو لمصاحبته الملوك ، وإن لم يكن وزيرا على الحقيقة ، على ما جرى به العرف الأندلسى . والناس كانوا ولا يزالون يتوسعون فى

الألقاب بلا حساب ، على أن أبا عبيد لم تسكن منزلته فى نفوس أهل عصره أقل مكانة من منزلة الوزراء .

ونثره جزل متين ، عريق الديباجة ، حسن الأسجاع ، يشبه نثر الفتح ، صاحب القلائد والمطمح ، وابن بسام صاحب الذخيرة ، وهو يمت بصلة قوية إلى نثر كتاب المشرق فى القرن الرابع ، أمثال ابن العميد والصاحب بن عباد وطبقتهما .

ومما يدل على براعة أساليبه ، ما كتبه من رقعة يهنئ بها الوزير الأجل أبا بكر بن زيدون بالوزارة :

« أسعد الله بوزارة سيدى الدنيا والدين ، وأجرى لها الطير الميامين ، ووصل بها التأييد والتمكين . والحمد لله على أمل بلّغه ، وجذل قد سوّغه ، وضمان حقّقه ، ورجاء صدّقه . وله المنة فى ظلام كان أعزه الله صبحه ، ومستبهم غدا شرحه ، ومعالى نحر كان حليه ، ووصال دهر صار هديه .

فقـد عمّر الله الوزارة باسمه ورد إليها أهلها بعد إقصار »

* * *

وبعد ، فأنا حقيق حين أقدم هذا السفر إلى العلماء والباحثين أن أسجل شكرى للذين عاونونى على إخراجه ، وأخص بالشكر زميلىّ الفاضلين المدرسين بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول : الدكتور مراد كامل ، لأنه قرأ لى مقدمة العلامة وستنفلد الألمانية ، والدكتور عبد الرحمن بدوى ، لأنه ترجم لى تلك المقدمة وكتبها بخطه ، وبعض الطلاب وخريجى كلية الآداب الذين عاونونى على مقابلة نسختى بالأصول المخطوطة . وأخيرا أقدم جزيل الشكر للجنة التأليف والترجمة والنشر على قيامها بنفقات الطبع ، ومطبعة اللجنة ، على مابذلت من دقتها وعنايتها الفنية ، فى إلباس الكتاب هذه الحلة الرائقة .

وكتب بالقاهرة فى شعبان سنة ١٣٦٤ = يوليه سنة ١٩٤٥ م .

مصطفى السقا



ثالثاً

نماذج عملية



موشحة

عملتها بمناسبة عودة الأستاذ الجليل عميد نقاد الآداب العربية، الدكتور "طه حسين" إلى كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول أستاذاً غير متفرغ، لتدريس الأدب العربي، في يوم السبت ٢٠ من فبراير سنة ١٩٥٣

مطلع الموشحة وهو القفل الأول

كُلِّيَّةُ الآدابْ
فِي نشوةٍ وبِشْرِ
تزهو على الأترابْ
بيومها الأغَرِّ

١

البيت الأول

لَذَّتْ لها الأنغامْ — بعَوْدِ طـهَ الأفْضَلِ
وَزِينُنا الضِّرْغامْ — حَلَّالِ كُلِّ مُعْضِلِ
مَا مِثْلُهُ مَنْ قَامْ — بخطبةٍ فِي مَحْفِلِ

القُفْل الثاني

ويَخْلُبُ الألْبابْ
لَفْظٌ له كالتِّبْرِ
أَحْيا أَبا الآدابْ
أَبا العَلا المعَرِّي

٢

البيت الثاني

يا عُمْدَةَ النُّقَّادْ ... ويا رفيع الأدب
بالخاطِرِ الوَقَّادْ ... جَدَّدْتَ مَجْدَ العَرَبْ
بيانُكَ المنقادْ ... سَلاسِلٌ مِن ذَهَبِ

القُفل الثالث

أتاحَ للطُّلَّابْ
قلائدًا مِنْ دُرِّ
ومَكَّنَ الأصحابْ
مِن اجْتِنَاءِ السِّحْرِ

٣

البيت الثالث

كَشَفْتَ للأجيالْ ... عَنْ مَعْدِنِ الحقائِقِ
وقُلْتَ للسُّؤَّالْ ... هَذِى بَنَاتُ طَارِقِ
المِسْكُ فى الأوْصَالْ ... والدُّرُّ فى المخانِقِ

القُفل الرابع

فيابَنِى الآدَابْ
ما رأيكُمْ مِنْ أمْرِى
هَلْ فيكُمُ مَنْ آبْ
بمثلِهَا فى الدهْرِ

٤

البيت الرابع

يا مُذْكِى الآرَاءْ ... يا فَخْرَ مِصْرَ الحُرَّةِ
قد عَطَّرَ الأرْجَاءْ ... ثَنَاءُ كُلِّ أُمَّةِ
عَلَيكَ والأصْدَاءْ ... فِى الشَّرْقِ أو أُورُبَّةِ

القفل الخامس

تُزْهى بها أَلْبابْ
أُولي النُّهى والفِكرِ
والحاسِدُ المرتابْ
يَصْلى بِجَمْرِ الصَّدْرِ

٥

البيت الخامس

وهذه أزهارْ — مِنْ جَنَّةِ الأَنْدلُسِ
صَوَّرْتُها أشْعارْ — تُضيءُ مِثْلَ القَبَسِ
ضَمَّنْتُها البُتّارْ — مِنْ لَفْظِكَ المُخْتَلَسِ

القفل السادس
وهو الخرجة

غَنَّتْ بها الآدابْ
هذا رَبيعُ العُمْرِ
"دَقّ الحبيبُ البابْ"
يا فَرْحتي بالبِشْرِ

[signature] — ١٩٥٣/٢/٧

موشحة

عملتها بمناسبة نقل رفات الزعيم الوطني الخالد، المرحوم مصطفى كامل باشا من ضريحه القديم بجبانة الإمام الشافعي، إلى ضريحه الجديد بميدان صلاح الدين بالقلعة، في يوم ذكراه الخامسة والأربعين: (١٠ من فبراير سنة ١٩٥٣

يابناتِ الهَديلْ

أسْعِدْنَ حَزَنِي

بالبُكا والعَوِيلْ

في فقيدِ الوَطَنِ

ابنِ مِصْرَ اللُّبابْ مُصْطَفى كامِلِ الوَفي

ذاكَ فَخْرُ الشَّبابْ فانْدِبي مِصْرُ واهْتِفي

جَلَّ فيهِ المُصابْ خَلِّ عَيْنَيْكِ تَذْرُفِ

هَلْ دَرَى أهْلُ جِيلْ

مِثْلَهُ في المِحَنِ

مَنْ رَأى أسَدَ غِيلْ

في نَحِيلِ البَدَنِ

يا حليف السُّهادْ يا عظيم المروءةِ
هل سئمتَ الرُّقادْ بعد خمسين حِجَّةْ
ثُمَّ رُمتَ الجهادْ قائدًا للسفينةْ

تستحثُّ الرَّعيلْ
لاستباق الزَّمنِ
مؤذنًا بالرَّحيلْ
عن مثارِ الفِتَنِ

إنَّ شعبًا رآك حاملًا للمشاعِلِ
قابسٌ من ضياكْ عِصًا في النَّوازلِ
ذائدٌ عن حِماكْ حارسٌ للمناهلِ
بالحُسامِ الصَّقيلْ

واشتعال الفِطَنِ
كُلُّ ذُخْرٍ جَلِيلْ
فِدْيَةٌ لِلْوَطَنِ

يامذيع اللّواءْ عَلَمًا في المشارِقِ
أَيْنَ مِنْكَ النّداءْ لِلْعُلا والحقائقِ
مُذْ بَنَيْتَ البِناءْ مُحْكَمًا لِلْمَواثِقِ
رِيعَ مِنْكَ الدَّخِيلْ
وابْتُلِي بِالمِحَنِ
حَانَ مِنْهُ رَحِيلْ
عَنْ دِيارِ الفِطَنِ

لَوْ تَخَطَّى الحَمَامْ بُلْبُلَ الرَّوضِ وانتَظَرْ

لَرَأينَا الطَّغَامْ عُصْبَةَ الغَادِرِ فِي سَفَرْ

وَمَلَكْنَا الزِّمَامْ مُذْ سِنِينٍ مَعَ الظَّفَرْ

قُلْتُ قَامَ الدَّلِيلْ

يَا رِجَالَ الزَّمَنِ

بَعَثَ هذا النَّبِيلْ

نُصْرَةً لِلْوَطَنِ

٨/٢/١٩٥٣